السبت 24 نيسان 2021
العدد 4327 السنة الخامسة عشرة
Samedi 24 avril 2021 nº 4327 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

عباس بيضون
بين وباءيْن

«استراتيجية 2025» الزراعية: «أسمع كلامك أصدّقك»! [4]

السعودية تحظر استيراد المنتجات الزراعيّة اللبنانيّة
مملكة الحصار الاقتصادي [2]

هبّة رمضان
القدس تدوس «شرف» الاحتلال

[10 ـ 11]

(أ ف ب)

تحقيق

سلف الخزينة:
5.5 مليارات دولار ديون هالكة!

6

اليمن

تجديد عرْض التفاهم على مأرب:
السعوديّة تترقّب الهزيمة

12

قضية

106 أعوام على «الإبادة الأرمينية»:
كيف السبيل إلى تصفية الحساب؟

13

المشهد السياسي

السعودية تحظر استيراد المنتجات الزراعيّة اللبنانيّة
مملكة الحصار الاقتصادي

ضبط شُحنة تهريب يعني نجاح جهود لتطويق هذه «العادة التجارية». إلا أنّ السعودية قرّرت استغلال الكشف عن شُحنة «رمّان» جديدة تُخبّئها حبوب الكبتاغون لوقف استيراد المنتجات الزراعية من لبنان. ومنع حتى مرورها من أراضيها! السعودية تُحاصر لبنان تجارياً واقتصادياً بعدما فشلت محاولات السيطرة السياسية على قراره

رئيس تجمع المزارعين ــ البقاع: نحنا لا نملك رفاهاً لنُحذره (علي حشيشو)

10 ملايين و10 آلاف حبة كبتاغون، حجم الشُحنة التي ضبطتها السلطات السعودية على منفذ حدودي مع الإمارات في كانون الأول 2019، وقد وصفت السلطات السعودية يومها العملية بأنّها «من أكبر مُحاولات التهريب في السنوات الماضية». رغم ذلك، استمر التنسيق بين البلدين، ولم يُتخذ أي إجراء لتجميد العلاقة التجارية الثنائية.
في كانون الأول 2020، أعلنت السعودية إحباط تهريب 8 ملايين و753 ألف حبّة كبتاغون من تركيا إلى داخل المملكة. تحوّل الموضوع إلى «وسم» على وسائل التواصل الاجتماعي، ومحاولات ضغط لوقف الاستيراد من تركيا... «دعوات» لم يحوّلها مطلقوها إلى أمر واقع،

> السعوديّة لم تُسلّم لبنان أيّ ملفّ يتعلّق بتهريب الكبتاغون

وبقي الأمر في حدود المقاطعة غير الرسمية لبعض البضائع التركية، التي انطلقت على خلفية التشنجات السياسية بين البلدين ولم تُربط يوماً بشحنة الكبتاغون.
في 21 كانون الثاني 2021، أعلنت مديرية مكافحة المخدرات السعودية إحباط تهريب نحو 20 مليوناً و190 ألف قرص كبتاغون، عبر ميناء جدّة، مُخبّأة في شحنة عنب... ليتكرّر الأمر في الميناء نفسه في 5 نيسان الجاري، مع محاولة تهريب 5 ملايين و200 ألف قرص مخبأة داخل شحنة برتقال.
عمليات الضبط السابقة تقدّم كأمثلة عن جانب من «نشاط» تجارة المُخدرات في المملكة العربية السعودية، وهي ليست عصفوراً يُغرّد خارج السرب في موضوع تهريب الممنوعات. فالتقارير الصحافية والأمنية عديدة عن تفشّي هذا «الوباء» داخل أوروبا وفي الولايات المتحدة الأميركية وغيره من البلدان. تُعدّ الرياض واحدة من «بؤر» تجارة المخدرات ــ الكبتاغون تحديداً ــ في العالم، وباتت هذه المُشكلة تُمثّل تحدّياً أمام مُجتمعها. لكنّها لم تلجأ في أي من الحالات إلى تجميد العلاقات التجارية كما فعلت مع لبنان أمس، حين أعلنت وقف استيراد الخضر والفاكهة، بدءاً من يوم غد الأحد، «إلى حين تقديم السلطات اللبنانية المعنية ضمانات كافية وموثوقة لاتخاذها الإجراءات اللازمة لإيقاف عمليات تهريب المخدرات المُمنهجة ضدّها». وقد جاء في البيان الصادر عن سفارة السعودية لدى لبنان أنه «تزايد استهداف المملكة من قبل مُهربي المخدرات التي مصدرها لبنان أو التي تمرّ عبر الأراضي اللبنانية وتستخدم المنتجات اللبنانية لتهريب المخدرات إلى أراضي المملكة... ونظراً إلى عدم اتخاذ إجراءات عملية لوقف تلك الممارسات تجاه المملكة، على الرغم من المحاولات العديدة لحثّ السلطات اللبنانية المعنية على ذلك، فقد تقرّر منع دخول إرسالية الخضروات والفواكه إلى المملكة أو العبور من خلال أراضيها». تتجاهل الجهات السعودية أنّ لبنان، وتحديداً عناصر الجمارك فيه، ضبطوا بتاريخ 3 شباط الماضي شُحنة من 5 ملايين حبّة كبتاغون كان ستُصدّر إليها. وقبل ذلك، أنقذ لبنان «مواطني المملكة والمقيمين على أراضيها من كلّ ما يؤثّر على سلامتهم»، حين ألقى في تشرين الأول عام 2015، على الأمير السعودي «صاحب السمو الملكي» عبد المحسن بن وليد آل سعود، مُتلبّساً بتهريب نحو 2 طن من حبوب الكبتاغون في مطار بيروت. عبد المحسن ــ الذي بات معروفاً باسم «أمير الكبتاغون» ــ كشف عن تورّط أفراد من العائلة الحاكمة، ليس في تعاطي المخدرات فحسب، بل أيضاً في الإتجار بها وتهريبها من لبنان في طائرة تخطّي بحصانة ملكية! التحقيقات يومها أظهرت أيضاً أنّ أميراً ثانياً هو «مُشتبهٌ فيه»، وبعدما عاش عبد المحسن «في عزّ» مُكرّماً داخل زنزانته، نجحت التدخلات من السلطات السعودية في شراء براءته ولصقّ التهمة بمرافقه.
السعودية لا تُريد مكافحة تجارة الكبتاغون، بل اتخذت من شحنة الرمّان ذريعة لتُطبق حصاراً سياسياً على لبنان. وبعدما فقدت أدوات التغيير السياسية أو العسكرية، وتبقّت من أن ميزان القوى لا يميل إلى مصلحتها، وجدت أمامها الورقة التجارية لتلوي بها ذراع خصمها. وهكذا قرّرت «مملكة الخير» ضرب لبنان بواحد من «امتيازاته» القليلة، وهي صادراته الزراعية المحدودة. الأذى لم يقتصر على منع إدخالها إلى السعودية، بل حتى منع أن تكون أراضيها ممرّاً للبضائع اللبنانية، من الأحد وحتى التاريخ الذي يرضى فيه وليّ العهد محمد بن سلمان عن لبنان، أو يُطلب منه ذلك. هي نفسها الدولة التي تضغط على دول عربية أخرى لمنع تأمين أي مساعدة للبنان. غيض من فيض حصار سياسي واقتصادي، يهدف إلى تحطيم الهيكل فوق كلّ ساكنيه، بعدما تعذّر على الرياض بتحالفها مع العدو الصهيوني والولايات المتحدة الأميركية وبقية «الحلفاء» جعل البلد محميّة سياسيّة خالصة لهم.
توحي السعودية في بيانها أنّها «تأثرت» الجهات اللبنانية وقف عمليات التهريب، من دون الاستجابة لطلبها. إلا أنّ مصادر دبلوماسية وأمنية تؤكّد أنّ «أحداً لم يتواصل معها أو يطلب التنسيق. والسعودية لم تُسلّم أي ملفّ يتعلّق بتهريب الكبتاغون، وحتى يوم أمس لم تُقدّم المعلومات المطلوبة، كمعرفة المُصدّر مثلاً». وتُضيف المصادر الدبلوماسية إنّه «لم يحصل في العالم أن كان التهريب سبباً لوقف العلاقة التجارية، وربما يكون من أكبر الأمثلة على ذلك العلاقة بين الولايات المتحدة الأميركية والمكسيك». فمعالجة التهريب تتمّ «بطلب زيادة التعاون الأمني والملاحقة وغيره»، وخاصة أنّ للمُهربين «أساليبهم التي ينجحون عبرها في التحايل على كلّ الإجراءات». لذلك، التحليل الأولي يقود إلى «بُعد سياسي للقرار السعودي». يُضاف إلى ذلك، كلام رئيس تجمّع المزارعين والفلّاحين في البقاع إبراهيم الترشيشي، الذي قال إنّ السعودية «تستورد وحدها ما يزيد على 50 ألف طن سنوياً من الإنتاجات اللبنانية الزراعية»، مُضيفاً إنّ «الشاحنة الأخيرة مُحمّلة بالرمّان، ونحن لا نملك رمّاناً لنُصدّره بل نستورده»، قائلاً إنّ مصدر الشاحنة هو سوريا.
وكما درجت العادة، ما كادت السعودية تُصدر بيانها حتى انطلقت «فرقة النَدْبية» لتندب علاقات لبنان العربية، وتحديداً الخليجية، وتشنّ هجوماً على حزب الله و«تستنجد» رضى الرياض. وفي مقدمة هؤلاء يأتي بيان وزارة الخارجية والمغتربين الذي، عوض أن ترفع توصية بالمبادلة بالمثل وطلب منع استيراد الألبان والأجبان من السعودية، أصدرت بياناً تدعو فيه السلطات اللبنانية إلى «ضبط كلّ عمليات التهريب عبر تكثيف نشاط الأجهزة الأمنية والجمارك على المعابر في ضوء القوانين التي تجرّم الاتجار وتهريب وتعاطي المخدرات، لقمع هذه الآفة وتفشيها ومنع الإضرار بالمواطنين الأبرياء وبالمزارعين والصناعيين والاقتصاد اللبناني».
على صعيد آخر، مثلت النائبة العامة الاستئنافية في جبل لبنان، القاضية غادة عون أمام رئيس التفتيش القضائي القاضي بركان سعد. استمرت الجلسة قرابة أربع ساعات، تقدّمت خلالها عون بشكوى ضدّ المدعي العام التمييزي القاضي غسان عويدات، «لمخالفته القانون بالتعميم الذي أصدره حول توزيع الأعمال في النيابة العامة الاستئنافية». ولم يرفع بعد التفتيش القضائي توصيته إلى وزيرة العدل لاتخاذ القرار بحقّ عون.

(الأخبار)

تقرير

الحوت: 5 ملايين دولار لن تكسر الدولة!

في خطوة تظهر مدى استهتار رئيس مجلس إدارة طيران الشرق الأوسط محمد الحوت بالأزمة التي تطال كل اللبنانيين، لم يتردد أثناء وجوده على متن طائرة متوجّهة إلى دبي، في الإعلان عن أن سبب الزيارة يعود إلى رغبته بشراء مفروشات وتجهيزات للمبنى الجديد للشركة. الحوت، الذي لم يجد في لبنان ما يليق بذوقه، برّر ذلك بالقول إن «دفع أربعة أو خمسة ملايين دولار لتجهيز مبنى كلّف 20 مليون دولار لن يكسر الدولة اللبنانية». وهو ما اعتبره ركاب كانوا على متن الطائرة مهيناً، ويؤكد أن هدر المال العام، والدولارات، لا يزال مستمراً.

مقالة

إيلي الفرزلي... الوفيّ

حسن عليق

نائب رئيس مجلس النواب إيلي الفرزلي، لم يخن الرئيس ميشال عون والنائب جبران باسيل. صحيح أنه انقلب عليهما إلى حدّ مطالبته الجيش بعزل عون، كما هجومه على باسيل وتحميله مسؤولية الانهيار الاقتصادي والسياسي في البلاد، من على منبر سعودي. إلا أن ذلك لا يعني أنه خانهما. على العكس من ذلك، الفرزلي هو رمز للوفاء.
صحيح أن مواقفه في الأيام الأخيرة مطابقة لمواقف سعد الحريري وسمير جعجع. إلا أن ذلك لا يعني أن وزير إعلام حكومة عام 2005، خرج من فريق 8 آذار وانتقل إلى ضفة خصومه.
الفرزلي لا يزال هو هو، حيث كان، وفياً لحزبه، متمسكاً بمبادئ هذا الحزب، لا يهادن، ولا يتراجع، مهما كلّفه ذلك. وحزبه هذا، بخلاف ما يظن كثيرون، ليس حزب الطائف، بل حزب المصرف. كان شجاعاً إلى حد قولها، علناً، في عز النقمة الشعبية على المصارف، نعم، نحن حزب المصرف. هذا هو الحزب الذي ينتمي إليه الفرزلي. الباقي قشور. لا يضيره أن يقف إلى جانب الحريري الذي أراد محوه عن الخريطة السياسية عام 2005، ولا في صفّ جعجع الذي حاول، بالفعل لا بالنية، شطبه من قيود الحياة في الحرب الأهلية... طالما أنهما يدافعان عن مبادئ حزبهم، حزب المصرف.
اليوم، يعيش هذا الحزب حالة توتر غير مسبوقة. هو، على ما قال أحد الناطقين باسمه (نقولا شماس)، اعتاد أن يُطاع ولا يطيع. لكن، طوال تاريخ لبنان، لم تكن صورته بالحالة التي هي عليه اليوم. الصورة كما الجوهر، مهشّمان. هذا الحزبّ لم يكفّ عن شن الحرب على اللبنانيين وسائر سكان لبنان، إلا أن ذلك لا يلغي واقع أنه ضعيف، ومأزوم، ومفلس. وهو لا يخوض حالياً معركة الدفاع عن «حقه» كطفيلية تمتص دم الاقتصاد والناس، بل يقاتل من أجل منع إعلان حقيقته: قطاع مفلس، وأصحابه لا يريدون أن يدفعوا، من مالهم الخاص، ثمن ما اقترفوه طوال عقود. يريدون للناس، عموم الناس، فقرائهم ومن نجا من طبقتهم الوسطى، ان يدفعوا الثمن، سواء بمالهم الخاص أو بالمال العام. وهنا لبّ معركتهم. إذا انتصروا فيها، فسينتقلون إلى الخطوة التالية: العودة إلى ما سبق، وممارسة كل الموبقات وجرائم سرقة المال العام والخاص، على حساب الاقتصاد، بذريعة أن الاحتكار والنهب في المصارف الخاصة والمستشفيات الخاصة والمدارس الخاصة وشركات الأدوية الخاصة والوكالات الحصرية الخاصة ومعامل التربة الخاصة وشركات المياه الخاصة وشركات النفايات الخاصة وشركات صيانة وتشغيل معامل الكهرباء الخاصة... وتحويل المال العام إلى ثروات بيد القلة، ومصادرة الودائع وتذويبها... كلها تسمّى «الاقتصاد الحر».
وصل قلق هذا الحزب إلى حدّ أن ما تقوم به القاضية غادة عون دفعه إلى الخروج عن طوره: سمير جعجع يضرب عرض الحائط بكل ما نظّره له («وزيره» السابق) كميل أبو سليمان، ومستشاره روي بدارو، ويختار تكرار كذبة حزب المصرف عن أن ودائع الناس «دبّنتها» البنوك للدولة. وإيلي الفرزلي ينقلب على ميشال عون وجبران باسيل. يفعلان ذلك، فيما حزبهما يعرف تمام المعرفة أن ما تقوم به غادة عون سيصل إلى حائط مسدود، وأنه لا مجال لأيّ خرق في جدار «سرقة القرن». إلا بخطوة غير متوقعة يخطوها المدعي العام التمييزي القاضي غسان عويدات، عبر فتح تحقيق جنائي حقيقي في عملية النهب التي قامت بها المصارف، واتخاذ قرار بكفّ يد رياض سلامة عن ممارسة مهماته.
إيلي الفرزلي ليس خائناً، بل هو وفيّ لحزبه الأوحد، حزب المصرف، ومدافع شرس عن حقّ هذا الحزب بشنّ حرب علينا جميعاً، وسرقة كل ما نملكه، كمُلك خاص ومُلك عام، من أجل أن يستمرّ عدد ضئيل من العائلات (أقلّ من 0,1 في المئة من اللبنانيين) باحتكار الثروة. كل ما عدا ذلك، من مذاهب وطوائف وقوانين انتخاب وانقسامات سياسية، لا يساوي عنده شاشة «ATM».

تقرير

مستحقّات تعليم السوريّين: الدفع للمعلّمين ليس بالدولار

فاتن الحاج

1,7 مليون دولار هو المبلغ الذي حوّلته الجهات المانحة أخيراً، عبر منظّمة اليونيسف، إلى الحساب المشترك في المصرف المركزي باسم وزارة التربية لسداد مستحقات المعلمين المتعاقدين بهم في مدارس بعد الظهر لتعليم اللاجئين السوريين عن الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي الماضي 2019-2020، على أن يبدأ الدفع اعتباراً من الأسبوع المقبل. وتوافق المموّلون مع مصرف لبنان على أن يكون سعر الصرف 12 ألفاً و250 ليرة لتغطية 21 مليار ليرة لبنانية هي قيمة مستحقات المعلمين، فيما تقرّر إعطاء المستعان بهم الذين لم يدرّسوا عن بعد خلال الفصل الدراسي نفسه 25 في المئة من قيمة عقودهم.
المعلمون المضربون منذ كانون الثاني الماضي شعروا بأنهم خدعوا لكون إضرابهم لم يكن احتجاجاً على تأخير المستحقات فحسب، وإنما للمطالبة بدفعها بالدولار الأميركي وليس بالليرة اللبنانية، في حين أشارت مصادرهم إلى أن الموظفين والمنسّقين الميدانيين ورئيسة وحدة برنامج التعليم الشامل المعنية بتعليم اللاجئين، يقبضون رواتبهم بالدولار الأميركي أو ما يعادلها بالليرة اللبنانية وفق السعر المتداول به أي 12 ألفاً و250 ليرة لبنانية. واعلنت لجنة الأساتذة في الدوام المسائي، في بيان، أن المعلمين لن يعودوا إلى التدريس، ولا سيما أن ما يطالبون به هو حق مشروع اعترفت به الجهات المانحة وبقي أن تكرسه الجهات المسؤولة من وزير تربية ومدير عام ورئيسة وحدة التعليم الشامل، عبر تعميم جريء وعادل يفصل من خلاله الدوامين الصباحي والمسائي، بحيث لا تطبّق أجرة الساعة التعليمية الواحدة في دوام قبل الظهر على دوام بعد الظهر أي 20 ألف ليرة لبنانية، على خلفية «أننا حالة خاصة مرتبطة بوجود النازحين السوريين وبمجرد عودتهم إلى ديارهم ينتهي الدوام المسائي المموّل من الجهات المانحة وليس من الدولة اللبنانية».
أما رابطة المعلمين في التعليم الأساسي الرسمي فعلّقت الإضراب الذي كانت قد أعلنته منذ الأول من آذار الماضي، بعدما تحقق مطلبان من المطالب الثلاثة التي رفعتها، وهما دفع مستحقات المعلّمين عن الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي الماضي، وتأمين مستحقات صناديق المدارس، في حين أن المطلب الثالث وهو تحديد موعد لسداد مستحقات المعلمين عن العام الدراسي الحالي بدا بلا أي أفق حتى الآن، إذ علمت «الأخبار» من مصادر في وحدة التعليم الشامل أن الأمر لا يتعدى التعهد بأن التأمين مؤمّن لـ 115 ألف تلميذ من 150 ألفاً، من دون أن توقّع خطة التمويل حتى الآن.
رئيس رابطة المعلمين حسين جواد أشار إلى أن نحو 40 في المئة من المدارس خرق إضراب الرابطة (120 مدرسة من أصل 373 مدرسة في دوام بعد الظهر)، لافتاً إلى أننا «وعدنا بأن ندفع مستحقات صناديق المدارس خلال 3 أسابيع»، علماً بأن المبلغ المخصص للصناديق لم يحوّل بعد.
وعما يطالب به المعلمون من مساواتهم مع المنسّقين في الوحدة لجهة قبض الساعة بالدولار أو ما يعادلها وفق سعر السوق، أشارت المصادر في وحدة التعليم الشامل إلى أن رئيسة الوحدة ليس لديها عقد، فيما المقارنة مع المنسّقين غير جائزة لكون عقود هؤلاء بالدولار الأميركي ومستحقاتهم تصلهم إلى حسابهم بالدولار، ويقبضونها بحسب الإجراءات التي يتّبعها كل مصرف وليس وفق سعر السوق السوداء، كما أن هذه المستحقات لا تدخل ضمن المبلغ المخصص للمعلمين. وأوضحت أنه لا يمكن أن يكون أجر ساعة المعلم المستعان به بعد الظهر مختلفاً عن أجر ساعة المعلم المتعاقد قبل الظهر.

> رابطة المعلمين: 40% من المدارس خرقت الإضراب

(هيثم الموسوي)

قضيّة سلامة في سويسرا... تابع

نشر أمس «اتّحاد المودعين»، بالتعاون مع: بيروت مدينتي، لحقّي، تقدّم، بيراميد، بياناً عن شكوى تقدّمت بها أمام هيئة الرقابة المالية في سويسرا «FINMA ـ فينما»، تطلب فيها إجراء تحقيق مع المصارف السويسرية التي «قد تكون لعبت دوراً مركزياً في مساعدة حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة ومُقرّبين منه بحفظ أموال يُزعم أنّها غير مشروعة، تدفّقت من سويسرا أو خارجها». فعلى الرغم من كلّ المعطيات التي أُثيرت في قضية سلامة، «لا يبدو أنّ أياً من البنوك السويسرية قد أبلغ السلطات الرقابية عن أي معاملة مشبوهة، أو فعل ذلك متأخراً».
وقد ذكر البيان مصرف «إيتش أس بي سي»، مُعتبراً أنّه كان في «قلب مُخطّط غسل الأموال الذي أدى إلى حصوله على غرامة تزيد على 2,5 مليار دولار امريكي. في ملفّ سلامة، يبدو من ملف المدعي العام الفيدرالي السويسري أنّ HSBC ـ سويسرا، استقبل مئات الملايين من الدولارات والمرور عبره، قبل تحويلها إلى الخارج، كبنما والجزر العذراء البريطانية، لمصلحة سلامة والمقرّبين منه». وتطلب الشكوى المُقدّمة من «اتحاد المودعين» التحقيق أيضاً مع مصرفي عوده ــ سويسرا، و«يولبوس باير»، واتخاذ «الإجراءات المناسبة ضدّ البنوك والأفراد الذين يظهر تورطهم في هذا المُخطّط».
ملفّ سلامة القضائي في سويسرا ليس محصوراً بالتثبت من ارتكابه الاختلاس وتبييض أموال. وطلب سويسرا المعلومات القضائية يتعلّق أيضاً بالفضيحة الجديدة التي تطال نظامها المصرفي، المُتهم بـ«التواطؤ» والمشاركة في إتمام عمليات سلامة المصرفية. أنطلاقاً من هنا، علمت «الأخبار» أنّه يجري التحضير في سويسرا لتقديم اقتراح قانون يُتيح للمصارف تجميد حسابات الأشخاص المُعرّضين سياسياً فوراً ومن دون انتظار قرار قضائي، فور الاشتباه بارتكابهم أي مخالفات.

(الأخبار)

قضية

«استراتيجية 2025» الزراعية
«أسمع كلامك أصدّقك»!

ندى أيوب

فيما ينحصر الهمّ الحكومي، مع تعاظم الدين العام، في تأمين إيرادات للدولة، يتهدّد الخطر أكثر من مليون لبناني يتأثرون بالقطاع الزراعي بشكل مباشر أو غير مباشر. وفي ظل أزمة اقتصادية خانقة كنتيجة طبيعية لسياسات اقتصادية غابت عن فلسفتها فكرة الإقتصاد المنتج، لا بد أن يُدرج تعزيز قطاع الزراعة على سلّم الأولويات بغية الحفاظ على الأمن الغذائي وتعزيزه، ما يتطلّب استراتيجية واضحة وخيارات تمنح وزارة الزراعة وموازنتها اهتماماً أكبر مما هي عليه اليوم.

«الاستراتيجية الوطنية للزراعة في لبنان 2020 - 2025»، التي أعدّتها وزارة الزراعة بدعم من «منظمة الأغذية والزراعة» التابعة للأمم المتحدة (فاو)، «تتبنّى نظرة حديثة للنهوض بالقطاع»، بحسب الاستشارية في الوزارة الوزيرة السابقة وفاء الضيقة حمزة. لكنها «تحتاج إلى توجه استراتيجي كبير على صعيد القرار السياسي»، لأنه «ما رح يمشي حال الترقيع».

حمزة التي شاركت في صياغة الخطة أوضحت لـ«الأخبار» أن «المحور الأوّل من الاستراتيجية يركّز على الإنعاش المباشر عبر تسهيل الوصول إلى المدخلات الزراعية والقروض لزيادة القدرة الإنتاجية وتأمين استدامة الأعمال الزراعية وتحسين سبل عيش المزارعين ومداخيلهم». و«الأولوية الثانية لتعزيز الإنتاج وخفض الاستيراد، الأمر الذي لن يحصل إلا تدريجياً عبر زيادة مدروسة للمساحات المزروعة مع مخطط للاءمة استخدام الأراضي في الزراعة يترافق مع استصلاح الأراضي بمواكبة ودعم مستمرين للمزارعين».

وبغية تحسين نوعية الإنتاج «تلحظ الخطة ضرورة العمل مع المزارعين لتقوية الخدمات الإرشادية واستخدام التكنولوجيا من جهة، وإدخال أصناف جديدة من زراعات ملائمة لإنتاجية أعلى وأكثر قدرة على تحمّل الأمراض وتغييرات المناخ». أمّا خفض كلفة الإنتاج كخطوة ضرورية، فلن تكون، برأي حمزة، إلا عبر «إيجاد بدائل محليّة للمستلزمات الزراعية المستوردة من بذور وأسمدة وإنتاج محلي لها». فالبذور والمبيدات والأسمدة المستوردة باتت تشكّل أكثر من نصف كلفة الإنتاج، مشددة على وجوب تأمين قروض زراعية ميسّرة بفوائد منخفضة وطويلة الأمد لضمان استمرارية القطاع والعاملين فيه، «وهذا يأتي في صلب تقليل مخاطر انعدام الأمن الغذائي والتغذوي».

«نحن الآن في قلب الأزمة التي ستتفاقم لا محالة»، تقول حمزة. وتشرح أن الخفض المستمر لموازنة وزارة الزراعة سيمنع الاستمرار في تقديم الدعم من خلال بعض المساعدات (توزيع البذور أو الأدوية الزراعية). وفي ظل انهيار قيمة الليرة، لن يتمكن المزارعون من الاستمرار من دون دعم. «اليوم نحن في حالة طوارئ، ويتركز العمل حالياً على تأمين التمويل لبرامج دعم مباشر عبر صناديق التمويل ودول مانحة مهتمة بالقطاع الزراعي، ستطلقها وزارة الزراعة قريباً بالتعاون مع منظمات دولية كالفاو وبرنامج الغذاء العالمي».

يصف الباحث في سوسيولوجيا التنمية الريفية والخبير في تخطيط وتقييم برامجها أحمد بعلبكي الاستراتيجية بـ«المدهشة ببلاغتها والمخيّبة بخلوّها من الأسانيد والمراجع كسابقاتها». إذ أن هذه ليست الاستراتيجية الأولى لوزارة الزراعة. فقد سبقتها خطتا 2010 - 2014 و2015 - 2019، وكانت النتيجة ازدياد هشاشة القطاع، حاله حال القطاعات الإنتاجية كافة.

ملاحظات بعلبكي تطاول الخطة من صفحتها الأولى حتى الأخيرة؛ بدءاً بالملخّص التنفيذي المليء بـ«الينبغيّات أو ما يجب أن يُدرس في المجتمعات بشكل عام، بعيداً من خصائص المجتمع اللبناني ومعوّقات نموه». أما الحديث عن إجراءات سياسية مؤسساتية لتشجيع الاستثمار، من دون ذكر الأكلاف والمدة الزمنية والأطراف المعنية بالتنفيذ والجماعات المستفيدة من الاستراتيجية، فليس إلا «تنظيرات». ويأخذ بعلبكي على معدّي الاستراتيجية طرح أهداف رئيسية كتحويل القطاع الزراعي ليصبح أكثر صموداً وتنافسية، بلا أي تخصيص لأوضاع البلد المتدهورة ومستقبله المبهم، لافتاً الى أن «الركون إلى كلام عام من أهون الأمور التي يمكن الهروب عبرها من المسؤولية في حال عدم تحقق الهدف».

قدّرت وزارة الزراعة الكلفة الإجمالية للاستراتيجية بـ 710 ملايين ليرة، على أن تساهم الدولة اللبنانية بـ 14%، وتؤمّن الفجوة اللازمة عبر تعبئة مُنظّمة للموارد المالية، من دون تفسير طريقة احتسابها وتوزيع التكاليف على متفرعات القطاع، من إنتاج وتصنيع وتسويق زراعي. وفي هذا «عدم دقّة» وفق بعلبكي، والأمر نفسه ينسحب على المبادئ التوجيهية للخطة الهادفة إلى الشمولية والمواءمة، إذ يغيب تحديد الفئات المشمولة، المستفيدة والمتأثرة سلباً، على اعتبار أن لكل استراتيجية هوية سياسية واجتماعية تخدم فئات وتترك أثرها على أخرى.

ويظهر «الضعف»، أيضاً، في بند البرامج الرائدة ومعايير تحديد أولوياتها، إذ يخلو من ذكر أدوار الوزارات المعنية وكيفية تحديد الأولويات. وكذلك في طلب الاستراتيجية في أحد أبوابها اتخاذ إجراءات أساسية ضمن وزارة الزراعة، «من دون أن يخبرنا مُعدّوها عن ماهية تلك الإجراءات وضمانة اتخاذها والموافقة على توزيع موازنات الوزارة». أمّا اعتمادها الواضح على المنظمات الدولية الزراعية، فيطرح سؤالاً وهو «ما المقصود فيها وكيفية التعاون؟». كما يعيب عليها إغفال أيّ ذكر لمشاكل وشوائب الإحصاء الزراعي ودقته. وفي ظل غياب الاستمرارية بالعمل المؤسساتي تبدو الاستراتيجية، وفق بعلبكي، «وكأنها كُتبت لبلد مستقر سياسياً وقادر على تشكيل حكومات يكمل بعضُها عمل بعض». ويخلص إلى أن «القطاع الزراعي في حال حرب، وفي مثل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كل ما يمكن أن يُخطّط لهُ هو التخفيف من الانهيارات بخطة طوارئ لا تزيد على سنة لتأمين العيش بالحد الأدنى، وتتوفر لها إمكانية التطبيق من حيث الكلفة».

ويعلّق عميد كلية إدارة الأعمال في جامعة «المعارف» بسام همدر بأن «كل الخطط في الشكل كانت واعدة، لكننا لم نلمس مفاعيلها». وفي المضمون، فإن «الدولة في حديثها عن الزراعة المستدامة تلحظ اتجاهاً واحداً»، في حين أن «استمرارية القطاع الزراعي يجب أن تلحظ نواحيَ عدة: اتجاه ربحي لضمان استمرارية اتصال المزارع بالقطاع، اتجاه بيئي يدرس أي أرض صالحة لأي زراعة وما هي الزراعات التي تُستخدم في مناطق لا مياه فيها والزراعات التي تتحسن في بيئتها ولا تضرّها. اتجاه يدرس تفاعل القطاع الزراعي مع القطاعات الاقتصادية كافة. واتجاه الكلفة وتأمين الأسواق والريّ».

حصة وزارة الزراعة من الموازنة

العام	حصة الوزارة من الموازنة	النسبة من الموازنة	قيمة رواتب الوزارة	نسبة الرواتب من موازنة الوزارة
2020	65.9 مليار ليرة	0.35%	45 مليار ليرة	68.5%
2019	81.4 مليار ليرة	0.32%	46.6 مليار ليرة	57.2%
2018	96.5 مليار ليرة	0.36%	45.2 مليار ليرة	46.9%
2017	74.4 مليار ليرة	0.28%	31.8 مليار ليرة	42.7%

الأخبار

(علي حشيشو)

على الأغذية إلى أكثر من 85٪ للفئات الأكثر هشاشة. ويتعرّض أكثر من 50٪ من سكان لبنان لخطر عدم الوصول إلى احتياجاتهم الغذائية الاساسية. و22٪ منهم تحت خط الفقر المدقع. أمّا المؤشّر الأكثر خطورة، بحسب «فاو»، فهو بلوغ عدد المعتمدين على الإعانات الغذائيّة ما يقارب مليوني شخص. وفي حين يدفع منطق الامور في وضع كهذا نحو الاهتمام بالقطاعات الإنتاجية، وفي مقدمها الزراعة، انخفضت موازنة وزارة الزراعة في الموازنة العامة لعام 2021 عن العام الماضي بنسبة تراوح بين 5 و6 في المئة. في وقت تعد وزارة الزراعة باستراتيجية طموحة لـ«النهوض» بالقطاع!

في مثل الأوضاع الحالية كل ما يمكن أن يُخطّط لهُ هو التخفيف من الانهيارات بخطة طوارئ

80٪ استيراد

3,3 مليارات دولار هي قيمة الواردات الزراعية والغذائية في مقابل 614 مليوناً فقط قيمة الصادرات. ومع اشتداد الأزمة المالية، شهدت الواردات الغذائية تراجعاً، وبلغت عام 2019 نحو 2,3 مليار دولار.

وتفيد بيانات الجمارك بأن «لبنان قبل الأزمة الأخيرة كان يستورد سنوياً بحوالى مليار و225 مليون دولار مواد أساسية كالقمح والأرز والعدس والفول والسكر والرز»، وكانت قيمة الاستيراد السنوي للألبان والأجبان حوالى 250 مليون دولار.

ولا يتعدّى الإنتاج المحلي 20%، أي أن لبنان يستورد 80% من حاجاته الغذائية. وتشكّل الواردات الغذائية 17% من مجموع الواردات، ما يجعلها في المرتبة الثانية بعد الوقود. أمّا أكثر المواد الغذائية استهلاكاً فهي: الخبز والحبوب ومشتقات الحبوب (35%)، مواد غذائية أخرى (46%)، الحليب ومنتجات الألبان (11%)، اللحوم والدواجن (8%).

رسائل إلى المحرر

توضيح من «بيروت مدينتي»

تعقيباً على التقرير المنشور في ««الأخبار» تحت عنوان «خنادق الثورة الخمسة»، بتاريخ 22 نيسان 2022، جاءنا من «بيروت مدينتي» التوضيح الآتي:

أولاً، بيروت مدينتي ليست عضواً في تحالف وطني ولم تكن بهذا التحالف في أي يوم من الأيام. وللتذكير، بيروت مدينتي لم تخض الانتخابات النيابية في عام 2018.

ثانياً، تتبنّى بيروت مدينتي التشاركية في عملها، ولهذا هي جزء مؤسّس من عدة تحالفات أثبتت نجاحها مثل ائتلاف إدارة النفايات الذي أوقف المحارق، ونقابتي، والنقابة تنتفض وإئتلاف لبنان نحو الأفضل الذي يضمّ عدة مجموعات تقوم بتحركات في الشارع وتناصر قضايا المواطنين.

ثالثاً، إن المقال قد أوحى بوجود تحالف مع العديد من المجموعات التي ذكرها المقال. لقد بادرت بيروت مدينتي مع مجموعات أخرى بالإعلان عن مبادرة في مؤتمر صحافي في 13 نيسان تهدف الى تاسيس جبهة معارضة تعبر عن ثورة تشرين. وبالتالي هذه الجبهة لم تشكل بعد وهي في طور البناء مع المجموعات التي تتوافق مع رؤيتها السياسية وطريقة عملها. وبيروت مدينتي كانت السبّاقة في وضع برنامجها الانتخابي عند ترشحها ولا تخوض الانتخابات من دون نشر أهدافها وسياستها وتعتمد الشفافية في عملها السياسي وتنشر ميزانيتها بكل شفافية وترفض أي تمويل من غير اللبنانيين وتضع سقفاً منخفضاً لأي متبرع خلافاً لأحزاب السلطة التي اعتبرتها المقالة أوضح مع الناخبين من مجموعات الثورة.

وأخيراً، إن تعدد التحالفات أمر صحي يعكس مصداقية هذه المجموعات تجاه المواطنين وتعدد المسارات السياسية لها. وتؤكّد بيروت مدينتي سعيها إلى أن يكون التنوع مفتاحاً للنجاح عبر التنسيق والتواصل المشترك لإسقاط هذه المنظومة الطائفية الفاسدة والميليشيوية.

◆◆◆

«تجار بيروت»: الوقت غير مناسب لكسر التوازنات الدقيقة

تعقيباً على التقرير المنشور في «الأخبار»، أمس، تحت عنوان: «اقتراح قانون المنافسة: المحتكرون يُطاعون ولا يطيعون»، جاءنا من جمعية تجار بيروت الرد الآتي:

تأسف جمعية تجار بيروت للمغالطات والاجتزاءات والإغفالات والتشويهات التي طالت الحديث المقتضب الذي كان قد أعطاه رئيس الجمعية نقولا شماس للصحافية السيدة رلى إبراهيم.

فكان شماس قد وجّه تحية لرئيس اللجنة البرلمانية المصغرة الدكتور فريد البستاني لإدارته الجلسات بموضوعية وحياد، ولإفساحه المجال أمام مختلف الآراء، وما أكثرها، ولا سيما رأي جمعية تجار بيروت في النص القانوني المقترح.

وإذ حافظ شماس على سرّية المداولات التي دارت ضمن اللجنة البرلمانية، أوضح بعضاً من الخطوط العريضة لموقف جمعية تجار بيروت التقليدي في ما يتعلّق بقانون المنافسة كما يأتي:

- الترحيب بمبدأ المنافسة وقوننتها ضمن إطار عصري يتناسب مع متطلبات منظمة التجارة العالمية، ويؤول الى زيادة الاستثمار وتعزيز النمو.

- ضرورة تحديد النموذج الاقتصادي اللبناني الذي ننصبو إليه، وعلى ضوئه اختيار قانون منافسة ملائم. وإنّ نموذجَي الإمارات وفرنسا أعطيا على سبيل المثال لا الحصر.

- إن توقيت دراسة هكذا قانون غير مناسب لسبب وجيه، ألا وهو الانهيار الأسوأ الذي يعيشه لبنان منذ 100 سنة. وقد أوضح شماس أن المشهد التجاري هو على الشكل الآتي: 40% من المؤسسات مقفلة، 40% من المؤسسات متعثّرة، و20% من المؤسسات قائمة على أوكسيجين السلع المدعومة... وهذا وضع غير مؤات على الإطلاق لكسر التوازنات الدقيقة ضمن القطاع التجاري.

- أوضح شماس أن الاحتكارات قائمة أساساً في القطاع العام وضمن القطاعات التي عزف عنها بال Commodities (وهذه سلع أساسية بعيدة كل البعد عن السلع الـ Branded المخصصة للمستهلك النهائي).

- وإن إسقاط «واو» المعيّة بين القطاع العام والسلع الأساسية كما أتى أعلاه، سحَبَ الموقف، وحوّل حقيقة بديهية يعرفها القاصي والداني، مفادها أن الدولة لا دخل لها بالأسمنت والكابلات مثلاً، الى Scoop إعلامي فاشل وفي غير محله إطلاقاً.

- إن أي كلام عن الوكالات الحصرية لم يأت إطلاقاً على لسان شمّاس في حديثه الإعلامي، لا من قريب ولا من بعيد، وهو بالتالي اجتهاد صرف من قبل صاحبة المقال، لتوصيف معادلة غير موجودة بتاتاً.

- هكذا، فإن المعادلة المربحة Win-Win Situation التي تحدّث عنها شماس مكوّنة حرفياً من «حماية المستهلك»من جهة و«احتضان القطاعات الإنتاجية» من جهة أخرى، والمستغرَب أن يُحذف الركن الأول من المعادلة ويُغيَّب عن كلام شمّاس كلياً، ويتم ابتداع المعادلة الآتية: «احتضان القطاعات الإنتاجية والتجارية» من دون ذكر حماية المستهلك، فهذه ثنائية ساقطة في الشكل وفارغة من المضمون.

- وأخيراً، صُرف النظر في المقال كلياً عن التراتبية الراسخة والذهبية التي حدّدها شماس، ألا وهي حماية المستهلك أولاً، واستمرارية الموظف لدى المؤسسة التجارية ثانياً، ومصلحة التاجر ثالثاً. وكان المقصود هو تشويه مواقف جمعية تجار بيروت والتعتيم على مبادئها، القائمة على الاعتدال في الموقف، والتوازن في الرؤية، وعلى التقيّد بنهج يحمي المجتمع ويعزّز الاقتصاد، وذلك منذ نشأة الجمعية المتزامنة مع نشأة لبنان.

تحقيق

سلف الخزينة: 5,5 مليارات دولار ديون هالكة!

حساب سلفات الخزينة الذي دققه ديوان المحاسبة عيّنة من طريقة إدارة الدولة. منذ العام 1995 حتى اليوم، لم تقم السلطة سوى بمخالفة القانون. كل شرط او بند يفرضه القانون تعمل عكسه. الإدارات الرسمية تحصل على سلف خلافاً للقانون. مؤسسات عامة تحصل على سلف بالرغم من أنها غير قادرة على التسديد. حتى الموازنة العامة حلّت محلها سلف الخزينة. الأسباب عديدة، لكن أبرزها التذاكي لإخفاء العجز الحقيقي للموازنة. أما النتيجة، فـ5,5 مليارات دولار لم تسدد حتى العام 2018

إيلي الفرزلي

عندما يشير التقرير الصادر عن ديوان المحاسبة في شباط الماضي إلى أن قيمة سلف الخزينة غير المسددة منذ العام 1995 حتى نهاية 2018، بلغت 7991 مليار ليرة، أي ما يعادل 5,5 مليارات دولار، فإن ذلك يمكن أن يعطي صورة سريعة عن واحد من الأسباب التي أدت إلى الانهيار: أداء السلطة. الحكومات المتعاقبة، ومن خلفها مجلس النواب، لم تكن تتعامل مع المواد الدستورية والقانونية بوصفها واجبة التطبيق. هي كانت بالحد الأقصى تستأنس بها، تمهيداً لإيجاد الطريق «الأقصر» لتخطيها ومخالفتها. التقرير لا يتناول الفترة ما بعد 2018، ببساطة لأنه يعتمد على المستندات التي تصله من وزارة المالية. والأخيرة، مع انتهاء إعداد التقرير، لم تكن قد أرسلت قطع حساب العام 2019، بالرغم من أنه واجب التصديق من الديوان قبل إقرار موازنة 2021 (أرسل في 15 نيسان الحالي)... إذا وجد من يهتم بإقرارها. وعليه، فإن التقديرات تشير إلى أن المبلغ الفعلي غير المسدّد يُقارب عشرة آلاف مليار ليرة حتى نهاية 2019، وصولاً إلى نحو 12 ألف مليار ليرة في نهاية العام 2020.

أين ذهبت هذه الأموال؟ ولماذا لم تسدد؟ ولماذا لم تعمد وزارة المالية، المسؤولة قانوناً عن ملاحقة هذه السلف، إلى استردادها أو على الأقل إلى القيام بالإجراءات القانونية اللازمة لإنهاء هذه الحالة الشاذة؟ الأجوبة عديدة، لكن أبرزها أن كل مرسوم أو قرار نصّ على إعطاء سلفة لأي جهة، كان يتضمن في طيّاته تواطؤاً وإقراراً مسبقاً بأن ما يسمى سلفة ليس سوى إنفاق فعلي لن تسترده الخزينة. اللافت أن الإعفاء من التسديد ورد أحياناً بشكل صريح في مراسيم، لم يسترّ من أصدرها من مخالفتها قانون المحاسبة العمومية بشكل فج، كما لم يتردد في التغاضي عن الموجب القانوني الذي ينص على أن أي إعفاء يحتاج إلى قانون يجيزه. النهج الثابت للسلطة كان التركيز على إخفاء المعلومات الحقيقية عن الداخل والخارج على السواء. ولذلك، فإن الكثير من النفقات العامة دُفعت عبر سلف خزينة، بدلاً من إدراجها في اعتمادات الموازنة. من فعل ذلك أراد إظهار قيمة مزيفة للعجز. فالسلف لا تدخل ضمن الإنفاق العام. وهذا أثّر على النتيجة النهائية للدورة المالية وزاد قيمة العجز التراكمي.

القانون وضع ليُخرق

التقرير الذي أعدّته الغرفة المختصة في الديوان برئاسة القاضية نبيلي أبي يونس، وقدم رئيس الديوان محمد بدران نسخة منه إلى رئيس الجمهورية، هو شهادة رسمية للسلطة، منذ التسعينيات حتى اليوم، منذ رفيق الحريري حتى سعد الحريري، تثبت أن الحكم بالنسبة إليها ليس سوى وسيلة للتربّح والمحاصصة والغش والإيحاء بأن الأمور تحت السيطرة. وفي سبيل ذلك لم تقم سوى بانتهاك القوانين والتلاعب بمالية الدولة، والاعتداء على كل مبادئ المحاسبة العمومية وإصدار موازنات شكلية، إن أصدرتها، لا تُعبّر عن حقيقة الوضع المالي.

حساب السلفات هو عينة وقحة من كل ذلك. يكاد التقرير يؤكد أن كل السلف التي أعطيت لم تراع القانون، لا بالنسبة إلى تقديمها ولا بالنسبة إلى إيفائها.

تشير المادة 203 من قانون المحاسبة العمومية إلى أن سلفات الخزينة هي إمدادات تُعطى من موجودات هذه الخزينة لغايات محددة حصراً:

● تموين مستودعات الإدارات العامة بلوازم مشتركة بين أكثر من إدارة واحدة.

● شراء مواد قابلة للتخزين معدّة للاستعمال في سنة مالية جارية أو لاحقة.

● تغذية صناديق المؤسسات العامة والبلديات وكذلك الصناديق المستقلة المنشأة بقانون.

حصر السلفات بوجهات الاستعمال هذه، أراده المشرّع، في الحالة الأولى، لتوحيد اللوازم بين مختلف الإدارات، بما يحول دون التفاوت فيما بين الإدارات ودون تجزئة الكميات، وبالتالي الاستحصال على السعر الأنسب والمواصفات الأنسب.

وفي الحالة الثانية، تمّت مراعاة الحاجة الطارئة لمواد أساسية مثل القمح والمشتقات النفطية، وربما بعض أصناف الأدوية واللقاحات...

أما في الحالة الثالثة، فالمقصود هو تأمين السيولة لهذه الصناديق عندما تعجز عن القيام بعمليات الدفع المطلوبة منها.

ليس صعباً تبيّن أن المبالغ المعطاة بموجب بعض المراسيم والقرارات لا تدخل ضمن الغايات التي أجازها القانون. ولأنه كان يُفترض إدراجها ضمن اعتمادات الموازنات لكونها نفقات عامة، فإن عدم القيام بذلك، هو مخالفة صريحة ومتمادية للقانون.

في النتيجة، فإن السلفات التي أعطيت لغير الغايات المحددة قانوناً، يمكن توزيعها بحسب التالي:

● سلفات لتغطية رواتب وأجور وتعويضات، كما حصل مع وزارة الإعلام التي حصلت على سلف خزينة عديدة لدفع تعويضات الصرف من الخدمة للعاملين في تلفزيون لبنان، عليها وعلى المادة التي سبقت من خلال إعطاء سلفة خزينة لإدارة عامة غير مستحقة بهدف تحويلها إلى مؤسسة عامة غير قادرة على الدفع!

● إعطاء سلفات خزينة لتغطية نفقات عامة: لأن الموازنة لم تقر منذ العام 2005 (حتى العام 2017)، اصطدمت السلطة في العام 2010، بعدم القدرة على الاستمرار بالصرف على القاعدة الاثني عشرية (المخالفة للقانون)، بسبب ازدياد حجم الإنفاق. لذلك اتفق على إعطاء الإدارات سلف خزينة لتأمين نفقاتها التي تتجاوز القاعدة الاثني عشرية المرصودة في موازنة العام 2005 (نحو عشرة آلاف مليار ليرة)، على أن تحدد قواعد وأصول تسديد السلفات بقانون خاص تصدره لاحقاً السلطة التشريعية. وقد أحصى ديوان المحاسبة 26 مرسوم سلفة صدر بين تشرين الثاني 2011

> **كل الحكومات منذ العام 1995 أعطت سلفاً لغير مستحقيها**
>
> **سلف الخزينة: وسيلة السلطة لتمرير مدفوعات مشكوك فيها**

وأيار 2012 الغاية منها رفع معدل الإنفاق لدى الإدارات والمؤسسات العامة.

طبعاً لم تستند هذه السلف إلى أي نص قانوني، بل استندت إلى مشروع قانون لفتح اعتماد إضافي لم يقره مجلس النواب حتى! وبدلاً من إقرار قانون الاعتماد الإضافي أو إقرار موازنة 2012، لجأت الحكومة إلى إصدار سلفة شاملة في 2012/6/15 قضى بإعطاء وزارة المالية سلفة خزينة بقيمة 10 آلاف و394 مليار ليرة لتغطية نفقات الإدارات العامة للعام 2012. وبقيت الحال هكذا إلى أن صدر القانون 238 بتاريخ 2012/10/22 الذي قضى بفتح اعتماد إضافي بقيمة 9 آلاف و248 مليار ليرة. ونص القانون على أن تخصص المبالغ المحددة لتسديد جزء من السلفة الممنوحة لوزارة المالية، لكن لم يجر تحديد الجزء الذي نص القانون على تسديده. لذلك، بالرغم من صدور القانون، لم يسدّد بعض السلفات بالكامل.

● إعطاء سلفات خزينة لتغطية تعويضات ومستحقات: وهو ما حصل، على سبيل المثال في العام 2007، عندما أعطيت وزارة العدل سلفة خزينة بقيمة 7,5 مليارات ليرة لتسديد نفقات المحكمة الدولية الخاصة باغتيال الرئيس رفيق الحريري، أو السلفة التي أعطيت لوزارة الاقتصاد في العام 2016، بقيمة 15 مليار ليرة، لغاية دفع تعويضات، على أن تسدد من اعتمادات تلحظ في الموازنة، لكنها لم تسدد منها سوى 4 مليارات ليرة.

التسديد ليس مهماً

وفقاً لأحكام المادة 209 من قانون المحاسبة العمومية، يفترض أن تسدد السلفات الممنوحة إلى الإدارات العامة بموجب حوالات دفع صادرة على الموازنة. كما يُفترض أن تسدد السلفات الممنوحة لمؤسسات عامة نقداً ضمن المهلة المحددة. وعلى المحتسب المركزي أن يُلاحق تسديد السلفات وفقاً للشروط التي أعطيت بموجبها. وله أن ينفّذ بحق القيّم على السلفة أي تدبير قانوني يؤمن استرداد هذه المبالغ.

ونتيجة التدقيق، تبين أن معظم المراسيم نصّت على أن يكون التسديد بموجب قوانين خاصة تصدر لاحقاً، لكنها لم تصدر، أو من خلال اعتمادات ترصد في مشاريع الموازنات العامة التي لم تصدر أيضاً. فبقي رصيد السلفات المعطاة عالقاً من دون تسديد، علماً بأن بعض المراسيم اختصر الطريق ونص على أن السلفة غير قابلة للتسديد أو أن الجهة المستلفة معفاة من التسديد (سلف تتعلق بتسديد مساهمات لبنان في صندوق النقد الدولي وزيادة المساهمة في الوكالة المتعددة الأطراف لضمان الاستثمار...)!

كل الخيارات التي اعتمدت مخالفة للقانون ولشروط إعطاء السلف وتحديد طرق تسديدها. وبالتالي، فإن الإصرار على هذه المخالفات أدى إلى ابتداع وسائل غير قانونية لتبرير إعطاء السلف لمن لا تنطبق عليهم الشروط القانونية. ولذلك، فإن لائحة المؤسسات والإدارات التي حصلت على سلف ولم تسددها حتى نهاية 2018، تطول وتتشعب لتشمل: الهيئة العليا للإغاثة، المعهد الوطني للموسيقى، الصندوق المركزي للمهجرين، المصرف الوطني للإنماء الصناعي، الجامعة اللبنانية، تلفزيون لبنان، تعاونية موظفي الدولة، المديرية العامة للحبوب والشمندر، هيئة إدارة السير، مؤسسة مياه البقاع، مؤسسة إيسار، مؤسسة كهرباء لبنان، مصلحة سكك الحديد، مصلحة استثمار مرفأ صيدا، المستشفيات الحكومية، مجلس تنفيذ المشاريع الإنشائية، مجلس الجنوب، مجلس الإنماء والإعمار، مؤسسة مياه لبنان الشمالي، مؤسسة مياه لبنان الجنوبي، المؤسسة الوطنية للاستخدام، المؤسسة الوطنية لضمان الاستثمارات، المؤسسة العامة للإسكان، مؤسسة إيدال.

في المقابل، فإن 4 مؤسسات وإدارات فقط هي التي أظهر ميزان خروج 2018 أنها سدّدت كل السلف التي حصلت عليها، هي: قوى الأمن - السجون، الأمن العام، وزارة الأشغال ووزارة الدفاع.

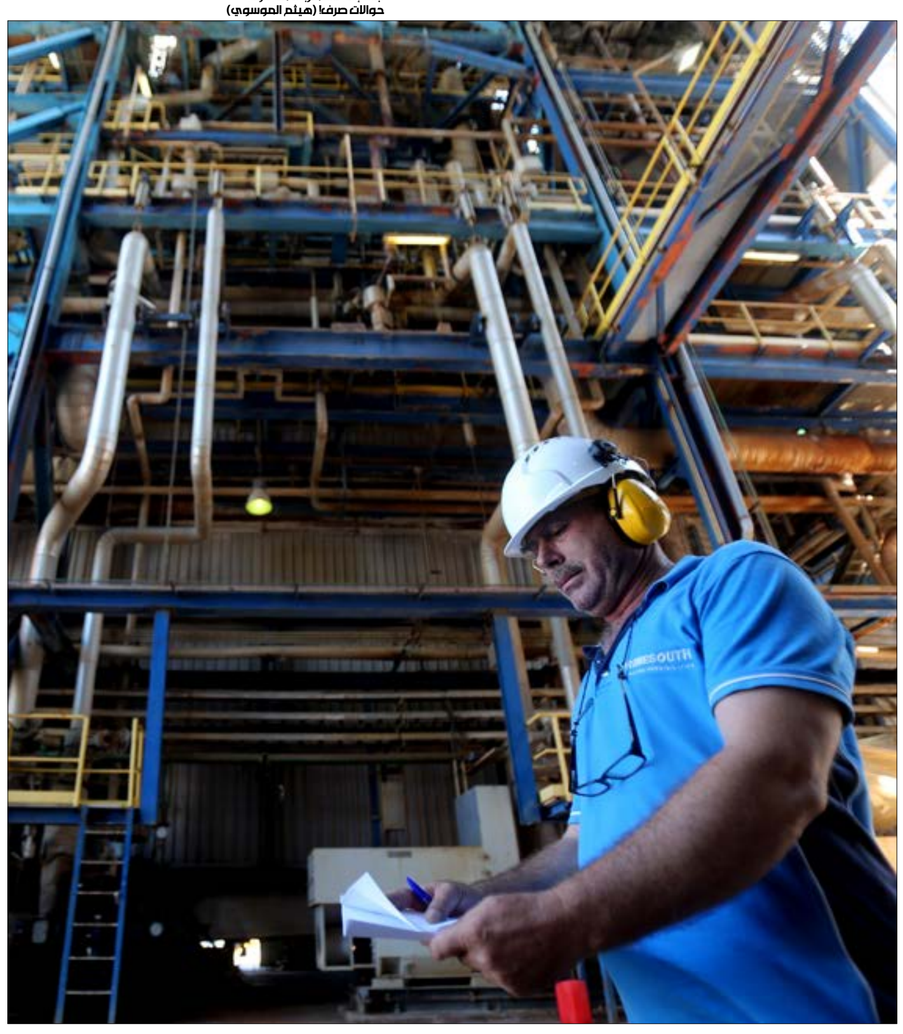

18 مليار دولار دفعها مصرف لبنان الى «الكهرباء» من دون حوالات صرف! (هيثم الموسوي)

كهرباء لبنان: الحصة الأكبر من السلف غير المسددة

ما بين العام 1995 والعام 2017 أحصى ديوان المحاسبة عدم تسديد سلف خزينة بقيمة إجمالية بلغت 5,3 آلاف مليار ليرة. إلا أن هذا المبلغ تضخم في العام 2018 ليصل إلى 8 آلاف مليار ليرة. السبب الأساسي لهذه الزيادة التي تخطّت 50 في المئة من رصيد السلف حتى نهاية 2017 (2800 مليار ليرة)، كان إعطاء مؤسسة كهرباء لبنان سلفة بقيمة 2700 مليار ليرة لتغطية الارتفاع الكبير في أسعار النفط في ذلك العام، علماً بأن ذلك العام سجّل أعلى نسبة سلف خزينة لم تُسدّد (34 في المئة) ويليها العام 2005 (11 في المئة) وعام 2000 وعام 2009 بنسبة 7 في المئة لكل منهما.

وكما كان متوقعاً، فإن مؤسسة كهرباء لبنان حصلت على النسبة الأعلى للقيم الإجمالية غير المسددة، إذ بلغت هذه النسبة نحو 70 في المئة (5,5 آلاف مليار ليرة)، حتى نهاية العام 2018، تليها الهيئة العليا للإغاثة بنسبة 12 في المئة (980 مليار ليرة)، ثم مجلس الإنماء والإعمار بنسبة 8 في المئة (651 مليار ليرة).

وبالرغم من أن مؤسسة كهرباء لبنان تحتل المرتبة الأولى في عدم تسديد سلف الخزينة، إلا أن المبلغ الإجمالي يبقى غير معبّر عن الكلفة التي تكبّدتها الخزينة لتغطية احتياجات المؤسسة من الفيول. ويعود ذلك إلى أن سلف الخزينة لم تكن الخيار الوحيد لتغطية هذه النفقات. فقد سبق أن أقرّت لها الأموال عبر اعتمادات في الموازنة أو مساهمات من الخزينة، كما كان يُطلب أحياناً من مصرف لبنان الدفع مباشرة، خلافاً للقانون. فقد تبيّن أن نحو 27 ألف مليار أعطيت للكهرباء من دون حوالات صرف على الموازنة، بل بطلبات مباشرة إلى مصرف لبنان، الذي كان يكتفي بدفع المبلغ، وإعلام وزارة المالية بذلك، فيما الأخيرة تقوم بتسجيل هذه المبالغ في قيود مؤقتة للصرف.

حينها، لم يكن رياض سلامة يعترض. ببساطة، لأن الأمر كان يناسبه ويناسب المصارف، التي تحقق أرباحاً هائلة من إقراض الدولة. لكن عندما تعطلت الماكينة، لم يجد سوى القانون ليحتمي به من التدقيق الجنائي على سبيل المثال، متحجّجاً بالحرص على التقيد بالقانون، ومتغاضياً عن كل الفتاوى القانونية التي أكدت أن التدقيق لا يخالف قانون السرية المصرفية.

الأخبار al-akhbar
رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب
مدير التحرير: وفيق قانصوه
مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري
صادرة عن شركة أخبار بيروت
المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963
الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
التوزيع: شركة الأوائل 01/666314ـ15 ـ 03/828381
الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
صفحات التواصل: /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

عندما كان لبنان من دون مقاومة: إسرائيل تقصف طائرة مدنيّة في عام 1950

أسعد أبو خليل *

الذي يجري في لبنان اليوم لا لبسَ فيه: هناك فريق يريد أن ينتزع من لبنان سرَّ قوته ومنعته، وعامل ردعه الوحيد ضد إسرائيل— وللمرّة الأولى منذ عام 1948. لم يرتدع العدوّ إزاء لبنان مرّةً واحدة في تاريخه قبل تطوّر المقاومة الإسلاميّة ونجاحها في إنهاك العدوّ وطرده شرّ طردة من لبنان في عام 2000، ثم هزيمته وإذلاله في الهزيمة الكبرى في حرب تمّوز. قبل ذلك، لم يكن العدوّ يوماً مرتدعاً، لا بل كانت سياسته المقصودة هي التمادي في العدوان ليفرض الإذعان عليه. كانت الدولة اللبنانيّة منذ عام 1948 وحتى نهاية أوائل التسعينيّات تتعامل مع لبنان على أنه أرض مفتوحة ومُباحة، وأنه ليس للبنان الحق في الدفاع عن نفسه أو الردّ على عدوان إسرائيل. أذكر في سنوات طفولتي عندما كنّا نزور منزل جدّتي في مدينة صور، كيف كنا نتلقّى اتصالاً ونحن في صور أن طائرات إسرائيليّة قصفت جسر القاسميّة، أو قبله أو بعده، وأن علينا تغيير مسار العودة إلى بيروت. كان القصف الإسرائيلي شأناً روتينيّاً في ترحال أهل الجنوب. هناك في لبنان اليوم لا يدري كيف تشكّلت ضواحي بيروت، ويظنّ أن نمو الضواحي كان ظاهرة مناخيّة أو خياراً سياحيّاً. يظنّون أن «الزمن الجميل» (هذه التسمية البشعة التي أطلقتها جريدة «النهار» لتزوير تاريخ لبنان المعاصر) أضفى بجماله على الجميع، ومن كل الطبقات الاجتماعيّة وفي كل المناطق اللبنانيّة من دون استثناء.

في 24 تمّوز 1950 اعتدت طائرة مقاتلة إسرائيليّة على طائرة مدنيّة لبنانيّة أثناء رحلتها من القدس الشرقيّة إلى بيروت. (تبقى دراسة كرستين شولتز، التي درست تاريخ العلاقة الإسرائيليّة السريّة والعدوانيّة مع لبنان، المرجع الوحيد عن هذا العمل الإرهابي. راجع مقالتها «الديبلوماسيّة القسريّة: الاعتداء الإسرائيلي في عام 1950 على طائرة لبنانيّة»، «ميدل إيسترن ستديز»، المجلّد 31، العدد 4، أكتوبر 1995). والاعتداء هذا لم يكن أوّل عمل إسرائيلي إرهابي ضدّ لبنان بعد نشوء الكيان. كيف ننسى مجزرة الحولا التي أودت بحياة 90 شخصاً وألحقت تدميراً بنسبة 100% في البلدة؟ (راجع كتاب أمين مصطفى، «المقاومة في لبنان، 1948-2000»، ص. 115). وكيف ننسى مجزرة الصلحا؟ وكيف ننسى الـ140 اعتداءً إسرائيليّاً ضد لبنان بين عامَي 1949 و1964، عندما لم يكن هناك لا منظمة التحرير ولا «جمّول» ولا حزب الله؟ لم تكن عقيدة فؤاد شهاب العسكريّة تسمح بدفاع لبنان عن نفسه. لا عقيدة شهاب أجازت إجراء مباراة كرة قدم «وديّة» بين الجيش اللبناني والجيش الإسرائيلي في 8 حزيران 1949 (الخبر في صحيفة «جيروزاليم بوست» كان عادياً في اليوم التالي، إذ إن لم يكن وحيداً). والعدوان الإسرائيلي لم يعترف بحق أي شعب عربي، لا في فلسطين ولا في خارج فلسطين، في الدفاع عن النفس. على العكس. فإن أعمال العنف ضد المدنيّين كانت مقصودة من قبل العصابات الصهيونيّة كي ترسّخ عقيدة تخويف العرب من قدرة صهيونيّة جبّارة لا إمكانيّة لهم على مجابهتها. والجنون الذي أصاب موقف دولة الاحتلال بعد حرب تمّوز كان بسبب حجم الهزيمة التي لحقت بالعقيدة العسكريّة المؤسّسة لإسرائيل، والتي أرادها بن غوريون مبنيّة على حروب خاطفة وسريعة لإذلال العرب وردعهم، ومنعهم حتى عن التفكير بالدفاع عن النفس أو الانتقام.

وصفاقة الإرهاب الصهيوني ضد لبنان نبعت من عِلم المؤسّسين الصهاينة أن هناك في لبنان—في النخبة الحاكمة—مَن يتعاطف معهم ضد الشعب الفلسطيني. والعلاقة اللبنانيّة-الفلسطينيّة سبقت سنة تأسيس دولة الاحتلال، وتعود إلى العشرينيّات تحديداً. وفي عام 1920، بعد زيارة لفلسطين، طلب حاييم وايزمان من المكتب الاستخباراتي في الحركة الصهيونيّة إعداد خطة لـ«مجابهة الرفض العربي للصهيونيّة». والخطّة (وهي منشورة في كتاب «جيش من الظلال: التعامل الصهيوني مع الصهيونيّة، 1917-1948» لهليل كوهين، ص. 17) تقترح في البند السادس منها «إثارة الشقاق بين المسلمين والمسيحيّين». وكانت الاتصالات الأولى بين لبنانيّين وصهاينة تتعلّق بأمور اقتصاديّة وسياحيّة. وتمّ التوصّل في آذار 1920 إلى اتفاقيّة تعاون رسمي بين ممثّلين عن «الوكالة اليهوديّة» (وهي التنظيم السياسي للحركة الصهيونيّة) وبين «ممثّلين موارنة» (دراسة شولتز، ص. 920). لكن شولتز تلحظ أن التعاون المبكّر لم يكن أبداً محصوراً بالمسيحيّين بل شمل المسلمين أيضاً. وفي هذا الشأن، يمكن التأكيد أن التاريخ اللبناني نحو إسرائيل يدحض فكرة أن هناك طائفة وطنيّة وطائفة عميلة، بل إن التعامل مع إسرائيل شأن كل الطوائف من دون استثناء. البطريركيّة المارونيّة كانت أوّل مؤسّسة أو تنظيم رغب في عقد اتفاقيّة رسميّة مع الحركة الصهيونيّة قبل نشوء الدولة. والبطريرك أنطوان عريضة هو أوّل من اقترح تحالفاً للأقلّيات يشمل الموارنة واليهود في فلسطين. وفي فترة رئاسة إميل إده تمّت صياغة اتفاقيّة صداقة بين الحركة الصهيونيّة ولبنان (الرسمي)، لكنّ السلطات الفرنسيّة أجهضت الموضوع (أي أن بعض زعماء لبنان والإكليروس كانوا أكثر صهيونيّة من حكومة فرنسا، التي ستلعب لاحقاً دوراً أساسيّاً في تسليح إسرائيل، بالأسلحة التقليديّة والنوويّة). وفي كل وثائق تلك الفترة يبرز اسم رئيس الحكومة، خير الدين الأحدب، كشخص متعاطف مع الصهيونيّة ومتعاون إلى أقصى الحدود. هذا رئيس حكومة ضمن رسميّاً في عام 1938 أمن وسلامة المستوطنات اليهوديّة على الحدود بين لبنان وفلسطين (راجع رسالته لموشي شرتوك، والتي ترد في المراجع العبريّة). لكن ذروة التحالف بين (بعض) لبنان وبين الحركة الصهيونيّة تجلّت في الاتفاقيّة الرسميّة التي وقّعتها البطريركيّة المارونيّة في عام 1946 مع الوكالة اليهوديّة، وشملت الاتفاقيّة التعاون في مجالات الثقافة والتجارة والاستخبارات والزراعة والسياحة والأمن والعلاقات العامّة (أي البروباغندا، راجع مقالة شولتز، ص. 920). لا تزال هذه الاتفاقيّة في المحفوظات السريّة في الخزانة البطريركيّة ولم يجرؤ نائب لبناني (بعد) على المطالبة بعرض هذه الوثيقة على الشعب اللبناني وكشف حقيقة تاريخ العلاقة بين الطرفيْن. ولهذا، فإن البطريرك الحالي مُلزم بالكشف عن هذه الوثيقة وملابساتها قبل أن يجترح عقيدة جديدة للسياسة الخارجيّة للبنان، خصوصاً أن مبادرته عن الحياد (الزائف) أتت بعد زيارته لفلسطين المحتلّة رغماً عن أنف معارضي التطبيع في لبنان. ولا نعلم عن هذه الاتفاقيّة الشنيعة إلا ما نُشر عنها في المراجع الإسرائيليّة العبريّة. واتفق طرفا الاتفاقيّة على السريّة المطلقة خشية «الغضبة الإسلاميّة» (حسب المراجع) كأنّ رفض الصهيونية كان—أو لا يزال— حكراً فقط على طائفة واحدة أو دين واحد مع أن التطبيع، كما مقاومته، يتعدّى الحدود الطائفيّة.

وسبق ظروف إطلاق النار الإسرائيلي على طائرة مدنيّة لبنانيّة التوصّل إلى اتفاق الهدنة بين لبنان وإسرائيل. ولا شكّ في أن المفاوضات اللبنانيّة مع العدوّ كانت، حسب المراجع، أكثر سهولة وسلاسة من كل الاتفاقيات العربيّة مع إسرائيل حول الهدنة. يكفي أن المقدّم توفيق سالم والمقدّم جوزيف حرب، عضوي الوفد اللبناني الرسمي، دشّنا الاجتماع مع ضبّاط العدوّ بالقول إنهم ليسوا عرباً وإنهم انقادوا من قبل العرب إلى المواجهة مع الصهاينة ضد إرادتهم. هذه هي حقيقة عقيدة فؤاد شهاب الدفاعيّة التي ضمنت للبنان الذلّ والهوان اللذيْن حكما تاريخه المعاصر إلى أن أتى عصر المقاومة الشعبيّة. وبالرغم من أن المفاوضات حول الهدنة كانت محصورة بالهدنة، فإن الوفد اللبناني عبّرَ بسرعة عن طموحاته في

> يمكن للبنان، لو أراد، أن يتباهى بكونه أوّل دولة عربيّة فاتحت العدوّ بالرغبة في التطبيع مباشرة بعد النكبة

التطبيع. وبما أن الشعب في لبنان مهووس بالسبق والمراتب، فيمكن للبنان—لو أراد—أن يزهو أنه كان أوّل دولة عربيّة فاتحت العدوّ بالرغبة في التطبيع مباشرة بعد النكبة.

وشركة الطيران اللبنانيّة، «كومباني جنرال دي ترانسبور» كانت فرعاً من الطيران الفرنسي وتقوم برحلات منتظمة بين مطار قلنديا (في محيط مدينة القدس وكان يخدم العرب قبل الاحتلال الكامل للقدس في حرب 1967) وبين مطار بيروت. والطائرة التي نتحدّث عنها حلّقت بعد الظهر في 24 تمّوز من عام 1950. وكانت الطائرة تحمل 25 راكباً، بمن فيهم تسعة أميركيّين ودانماركيان اثنان و14 أردنيّاً. وكانت الطائرة في على أهبة الهبوط في بيروت (على بعد 17 دقيقة فقط) عندما ظهرت طائرة مقاتلة إسرائيليّة (وكانت الطائرة اللبنانيّة في الأراضي اللبنانيّة فوق مرجعيون، تحديداً). وحاولت الطائرة الإسرائيليّة أن تجبر الطائرة اللبنانيّة على الهبوط. لكنّ القبطان تجاهل إنذار الطائرة الإسرائيليّة لأنه كان في الأجواء اللبنانيّة. وفي هذه اللحظة، يقول الطيّار: «اعتدت الطائرة الإسرائيليّة علينا من الخلف برشّاش، وأصابتنا بعدة رشقات، وطاردتنا إلى ارتفاع 2000 قدم فوق محيط صيدا، التي فكّرتُ فيها كمكان لهبوط اضطراري. وقدّر الركاب المدّة بين ظهور الطائرة الإسرائيليّة وبين إطلاق النار على الطائرة اللبنانيّة بثلاث دقائق فقط. ووصف واحد من الركاب الهجوم كالتالي: «سمعت قدوم طائرة نحونا من المقدّمة. وخفّضت طائرتنا أنفها فيما حلّقت الطائرة الإسرائيليّة فوقنا. وكانت الطائرة إما فوق ذنب الطائرة أو خلفنا قليلاً عندما أصابتنا نيران الطائرة المقاتلة في سقف الطائرة من ناحية اليمين، إلى الأمام. وكانت هناك قطع من أشلاء الأجساد متوزّعة على السقف وعلى الركّاب في خلف الطائرة. وكان هناك قسم من نخاع (الضحيّة) ودماء على معطفي» (ص922، من دراسة شولتز).

راكب آخر يروي: «بعد نحو ثلاث دقائق فقط من رؤيتنا للطائرة المقاتلة أمامنا، تلقينا النيران. رأيتُ وميض النيران وهي تدخل إلى الطائرة، وسمعت صوت إطلاق النيران وصوت الرصاص ينخر في الطائرة. ورأيت الدماء وهي تتناثر حولنا وإصابة بعض الركّاب بجروح».

قبطان الطائرة وصف مصدر النيران بأنه أتى من الخلف ووافقه الركّاب في ذلك. وهناك من قال إن الطائرة الإسرائيليّة اقتربت من الأمام، وإلى الأعلى قليلاً، وأكد ذلك واقعة إصابة الركاب في القسم الأمامي من الطائرة فيما انتشرت الدماء على الركاب في القسم الخلفي من الطائرة. ومن المؤكّد أن الطائرة اللبنانيّة أصيبت من جهة اليمين، وأن ثقوب الرصاص ملأت جسم الطائرة من جهة اليمين بالإضافة إلى مقصورة القبطان وغرفة الراديو.

لكنّ الأهم من ناحية القانون الدولي، الذي لم تعره دولة الاحتلال اهتماماً منذ إنشائها، أن موقع الطائرة المدنيّة اللبنانيّة كان فوق مرجعيون، وأن الطائرة لم تخرق الأجواء الفلسطينيّة. وقد أكدّ ذلك القبطان ومساعد القبطان والركّاب (وهم من جنسيّات عربيّة وغربيّة، كما سلف). وكانت السماء صافية ولم يكن هناك لبس في رؤيتها، وكانت رؤية رقم تسجيل الطائرة المدنيّة واضحة. ولم تكتفِ الطائرة المقاتلة الإسرائيليّة بإطلاق النار على الطائرة المدنيّة اللبنانيّة بل هي واصلت إطلاق النار وطاردتها نحو صيدا قبل أن تعود إلى فلسطين المحتلّة. وقتل الراكب اليهودي، حسب وصف مراسل «الحياة» (موسى دويك، وأنطوان الوزير (مُشغّل جهاز الراديو). وأصيب سبعة ركّاب أردنيين بجروح. وقدّمت الحكومة اللبنانيّة شكوى ضعيفة وشكليّة للأمين العام للأمم المتحدة وطالبت باعتذار والحفاظ على «السلام» والتعويض عن الضحايا والتمسّك باتفاق الهدنة. لكنّ هذا ديدن حكومات لبنان المتعاقبة منذ عام 1948، لا ترد حكومات لبنان على العدوان الإسرائيلي والخروقات المتكرّرة لسيادته إلا بالدعوة إلى العودة إلى اتفاق الهدنة والتمسّك بالسلام (لا، بات الموقف اللبناني في عهد ميشال عون وفي ظلّ قيادة جوزيف عون أسوأ مما كان في الماضي إذ إن كل خرق إسرائيلي يُقابل من جانب الوفد اللبناني في الناقورة بالشكوى الشكليّة المهذّبة، قبل أن يتناول أعضاء الوفد المرطّبات والمازة ويتبادلون أطراف الحديث بتشجيع دوري من وفد اليونيفيل، الذي هو ليس إلا امتداداً لوفد العدو).

وراوحت تعليقات الصحف التي رصدتها شولتز، ووجدت تعليق كامل مروّة في «الحياة» من أقواها، إذ إنه رأى أن العمل العدواني أتى لـ«يذكّرنا بضعفنا وعجزنا وعقم تفكيرنا. ولهذا، فإن الحادثة مع الطائرة الإسرائيليّة جاءت لتعطينا درساً جديداً أن البلدان التي تريد أن تعيش كما نعيش لن تبقى على قيد الحياة» (ص. 923). واتهم مروّة ساسة لبنان بأنهم «تناسوا إسرائيل وعادوا إلى (صيغة) السلام الدائم». لكنّ موقف بشارون مارون، صاحب جريدة «الروّاد»، كان متساهلاً ومائعاً وقال إنه يتفق مع الرأي اللبناني السائد أن «اليهود معتادون على ارتكاب هكذا عدوان، والذي لا يُقابل من الجانب العربي إلا بشكاوى للجنرال رايلي (مسؤول لجنة اتفاق الهدنة)». لكن مارون أضاف أنه يرى إمكانية «السلام والتفاهم مع هؤلاء اليهود لإنهاء حالة اللاحرب، لا سلام».

وقدّمت الحكومة الإسرائيليّة وجهة نظرها عن الاعتداء، ولكنّ هذه المرّة لم يكن بين ذرائعها وجود المقاومة الفلسطينيّة أو المقاومة اللبنانيّة. كان لبنان في حينه، حملاً وديعاً ينتظر ذبحه على يد إسرائيل متى تشاء. هذه عقيدة فؤاد شهاب التي كانت تعتبر أن طمأنة إسرائيل تفوق في أهميّتها سيادة وعزّة وشرف لبنان. واتهمت حكومة العدو الطائرة اللبنانيّة بخرق أجوائها، هكذا من دون سبب، وزعمت أن النيران الكثيفة التي أطلقتها (والتي قتلت شخصيْن وجرحت سبعة) لم تكن إلا طلقات تحذيريّة فقط. وبدلاً من الاعتذار الذي طالب به لبنان، فإن حكومة العدوّ ألقت باللائمة على قبطان الطائرة لأنه أظهر «موقفاً غير مسؤول نحو التحذيرات المتوالية» من الطائرة الإسرائيليّة المقاتلة. لكنّ وقاحة إسرائيل كعادتها تلفت الأنظار. فقد تقدّمت حكومة العدوّ بشكوى للأمم المتحدة حول خرق أجوائها من قبل الدول العربيّة التي برأيها لا تلتزم بخطوط اتفاقيات الهدنة (ونحن طبعاً نعلم اليوم بطلان المزاعم الإسرائيليّة بعد أن تسرّبت أحاديث لموسى دايان بعد وفاته اعترف فيها، في مقابلة مع الصحافي رامي تال، بأن جيش الاحتلال الإسرائيلي كان يتجاوز حدود فلسطين ليقترب من الجانب السوري ويستفزّه في أكثر من 80% من الحالات كي يشتبك معه وتكون لديه ذريعة الاشتباك معه—راجع عدد «نيويورك تايمز، 11 أيار، 1997). وأراد العدوّ من الشكوى ضد لبنان ترسيخ فكرة فرض السلام معه بالقوّة: أراد أن يقول للدول العربيّة إنه في غياب اتفاقيّات السلام، فإن إطلاق الرصاص على طائرات مدنيّة عربيّة سيستمرّ.

وبالرغم من تعرّض ركاب أميركيّين لإطلاق رصاص من قبل إسرائيل، حليفة أميركا، فإن الحكومة الأميركيّة جهدت كي تقلّل من مستوى الحدث وأهميّته لتجنّب لوم إسرائيل. والأرشيف الأميركي يحتوي على وثيقة توجيهات من قبل وزارة الخارجيّة الأميركيّة للمحادثة مع القائم بالأعمال الإسرائيلي في واشنطن. واقترحت المذكّرة الأميركيّة «ذكر الحادثة أثناء زيارته والتعبير له عن اهتمامنا بمعرفة الحقائق حولها، لأننا نعتبر هذه الحوادث على أنها مؤسفة وتعطّل كل الجهود للتوصل إلى حل للمشكلة الفلسطينيّة المثيرة للجدل» (المصطلح الذي استعملته وزارة الخارجيّة للإشارة إلى المشكلة الفلسطينيّة يعطي صورة عن تجاهل حكومات الغرب للقضيّة قبل أن تنطلق المقاومة الفلسطينيّة وتفرض أجندة القضيّة على الحكومات العالميّة والرأي العام العالمي). ورفض سكرتاريّة مجلس الأمن بحث القضيّة في اجتماع 28 تمّوز، وأبلغت الوفد الأميركي بذلك كأنها تطمئنه أن لا خطر على إسرائيل من جهتها. وأصرّت السكرتاريّة على حصر بحث الموضوع في لجنة الهدنة، كأنّ الاعتداء على طائرة مدنيّة من قبل طائرة مقاتلة إسرائيليّة يدخل في نطاق عمل لجنة الهدنة، وكأنّ بروتوكول الاتفاق يلحظ حالات الاعتداء على طائرة مدنيّة لأيّ من الطرفيْن. لكنّ المُريب في الموضوع أن الحكومة اللبنانيّة، كما الحكومة الإسرائيليّة، وافقت على حصر الموضوع بلجنة الهدنة. وهذا يتكرّر في تاريخ العدوان الإسرائيلي على لبنان. وهناك المزيد من الوثائق الأميركيّة التي ستصدر في كتاب حديثاً عن الدور الأميركي في مرحلة التحضير للحرب الأهليّة ويتضح فيها كم أن الحكومة اللبنانيّة كانت ترضخ للأوامر الأميركيّة بالتمنّع عن تقديم شكاوى للأمم المتحدة مراضاةً لإسرائيل. لكن ماذا نتوقّع من حكومات كانت تنسّق وتتعاون (في عهد شارل الحلو وعهد سليمان فرنجيّة) في التآمر على المقاومة الفلسطينيّة، وستظهر في هذا الشأن أسماء ساسة مسلمين تعاونوا مع رئيس الجمهوريّة في المخطط.

واجتمعت لجنة الهدنة في 27 تمّوز 1950، وأبلغ الضابط اللبناني، فريفر (هكذا يظهر اسمه في المراجع العبريّة) الجانب الإسرائيلي أن الرشّاش الإسرائيلي الذي أصاب الطائرة كان من عيار 13 مليمتراً، وأن مُشغّل الراديو توفي من جراحه وأن طفلة في عمر خمس سنوات احتاجت إلى أن تُبتر ساقها بسبب الجراح. وكذب الضابط الإسرائيلي في نفيه أن تكون الطائرة الإسرائيليّة قد دخلت الأجواء اللبنانيّة. وانتهى الاجتماع بطلب لبناني لاعتذار وتعويض—فقط. في المقابل، طلب الوفد الإسرائيلي، بوقاحة، من الجانب اللبناني، وقف خرق الأجواء... الفلسطينيّة. واقترح الجنرال رايلي من الطرفيْن تقديم الاعتذار، و«يا دار ما دخلك شرّ». وتجد شولتز مفارقة أن حزب الكتائب الذي أدان في العلن الاعتداء على الطائرة اللبنانيّة تقدّم بطلب رسمي من حكومة العدوّ، عبر الدبلوماسي اللبناني، الياس ربابي، لتمويل حملته الانتخابيّة في انتخابات 1951. وتلقّى ربابي مبلغ ألفيْ دولار. وخلاصة المؤرّخة من دراسة الحادثة مفادها أن سياسة العدوان الإسرائيليّة ضد طائرة مدنيّة كانت مقصودة وتهدف إلى جرّ لبنان نحو اتفاقيّة سلام مع إسرائيل، أي أن إرهاب إسرائيل ضد الدول العربيّة كان، ولا يزال، سياسة مقصودة لجعل خيار الاستسلام خياراً وحيداً. لكن في لبنان اليوم مقاومة مجهّزة بصواريخ. العدوّ بات الخائف الأكبر، لا لبنان.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

أيمن بعلبكي، «ميدل إيست» (مواد مختلفة على كانفاس ــ 200 × 400 سنتم ــ 2014 / 2015)

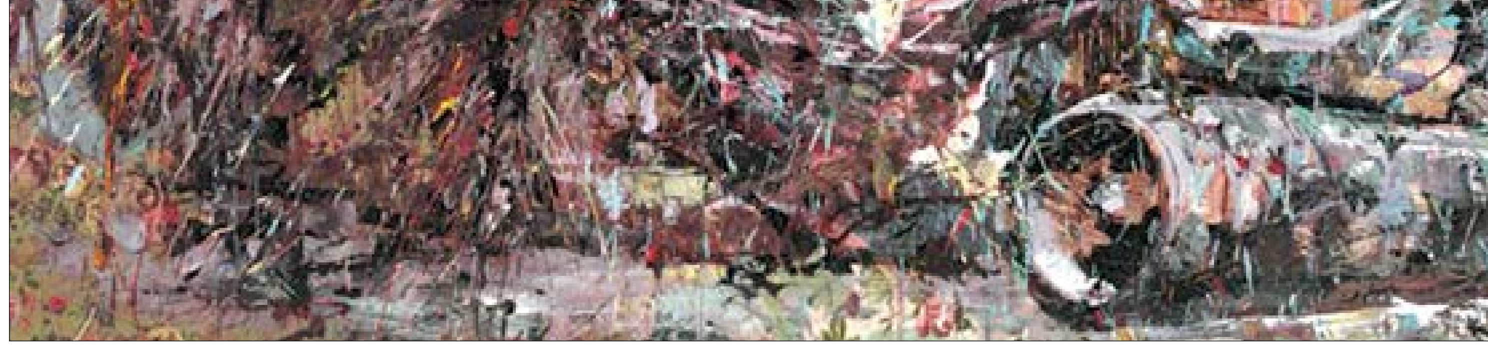

كوفيد 19، معاينة غير طبية

عبد الله ريشا *

قال لينين: «هناك عقود لم يحدث فيها شيء وأسابيع تحدث فيها عقود». ونحن نعيش واحداً من تلك الأوقات التي تسارع فيها التاريخ.

في الوباء

إن الجائحة هي بالتأكيد أكثر من أزمة صحية، إنها أزمة اقتصادية واجتماعية وسياسية لا سابق لها، تضغط على كلّ بلد تدخل عليه وتتوسع على كامل الكرة الأرضية. إنها أزمة شاملة، ليس فقط لأنها أصابت كلّ الدول، بل لأنها تتعلّق بكل فرد. إنها أزمة معقّدة تصيب أيضاً العلاقات الدوليّة والنمو الاقتصادي وتطرح علينا أسئلة حول علاقتنا بالطبيعة وتقودنا الى إعادة التفكير في الإنتاج والاستهلاك والبنى الأولية التي ترتكز أساساً على الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة. نتكلم عن أزمة صحية عالمية غير مسبوقة، والفيروس بحد ذاته ليس مميتاً أكثر من فيروسات أخرى كالتي تسببت في أمراض إيبولا وسارس والسيدا والطاعون في زمانها، غير أنه بسرعته في الانتشار وضغطه الكبير على الأنظمة الصحيّة وتأثيره على الاقتصاد العالمي كما صعوبات السيطرة عليه كلها تمثّل خطورته.

وقال الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش: نحن في حالة حرب مع الفيروس... لقد استغرق العالم ثلاثة أشهر للوصول الى 100000 حالة إصابة مؤكدة، وحدثت المئة ألف حالة الثانية في غضون 12 يوماً، فقط واستغرقت الثالثة أربعة أيام فقط والرابعة يوماً ونصف فقط. منذ بداية الأزمة في كانون الأوّل 2019 حتى شباط 2021، أصيب العالم بـ 117،156،073 مليون (إصابة بالعدوى). وتوفي أكثر من 2,7 مليون وفق جامعة جون هوبكنز. وكانت أكثر عشر دول في عدد الوفيات في العالم بالترتيب: الولايات المتحدة (+521 ألفاً) البرازيل (+268 ألفاً)، المكسيك، الهند، المملكة المتحدة، إيطاليا، فرنسا، روسيا، المانيا، إسبانيا. وأكثر عشر دول في عدد الإصابات بالعدوى في العالم وبالترتيب: الولايات المتحدة، الهند، البرازيل، روسيا، المملكة المتحدة، فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، تركيا، المانيا.

ولا بد من ملاحظة هنا أن الجائحة خلال سنة تسبّبت في وفاة 2,7 مليون، وبالمقارنة في كل عام يموت 17,8 مليون شخص بسبب أمراض القلب والأوعية الدموية، ويموت 9,6 ملايين بسبب السرطان ويموت 6,5 ملايين من أمراض الجهاز التنفسي، بخلاف كوفيد 19، ويموت 2,5 مليون بسبب الخرف، و2,7 مليون بسبب هذه الجائحة.

في هذه الجائحة يواجه العالم اختباراً لم يسبق له مثيل.

في المجتمع الدولي والجائحة

تواجه الأمم المتحدة أحد أكبر التحديات في تاريخها، وبقي مجلس الأمن صامتاً، وكان الصمت صمتاً رسمياً، وحتى لما طرحت المسألة في اجتماع عن بعد (فيديو) في آذار 2020، فشل مجلس الأمن، الجهاز الأقوى في الحوكمة العالمية، في تبنّي إعلان مشترك في موضوع الجائحة.

وكان السبب معركة لغوية بين الولايات المتحدة والصين في موضوع تسمية الجائحة، حيث أصرّت الولايات المتحدة على كون مصدر الفيروس من المدينة الصينية «يوهان»، ما أغضب الدبلوماسيين الصينيين الذين اتّهموا الأميركيين بتسييس المسألة، وتوجد أسباب متعددة لانتقاد مجلس الأمن على هذا الصمت، لأنه غالباً يتجه الى مقاربة المواضيع، حتى لو لم تدخل في صلاحياته بحسب النص، والمآسي الإنسانية كانت مادة لقرارات مجلس الأمن تحت الفصل السابع، كما الكوارث الطبيعية، وحتى التغيير المناخي. وهناك سابقة في الموضوع، قرار مجلس الأمن الرقم 2177 في 17 أيلول 2014 بموضوع انتشار ايبولا ووصفه بتهديد السلم والأمن الدوليين.

في الثقة والمعلومات المضللة

ترافقت الجائحة مع فيض من المعلومات الخاطئة والكاذبة أو المضلّلة، ما خفف من الثقة بالسلطات والمراجع العلمية، وقد تعرّض الناس لتضليل وبائي من قبل وسائل إعلام اجتماعية محترفة.

خلال المراحل الكبرى للأزمات، عرفت الولايات المتحدة كيف تجتمع وراء الرؤساء الذين تثق بهم، مثل لنكولن، ولسون، روزفلت، بوش الابن، على عكس ما جرى مع ترامب وطريقة مقاربته غير الشفافة والفوضوية للجائحة، والتي أفقدت الناس الثقة بالقيادة السياسية، فكانت الولايات المتحدة أكثر البلدان من حيث الوفيات والإصابات، كما انعكس الوضع على انتخابات الرئاسة، فكان كوفيد 19 سبباً من أسباب سقوط ترامب، وحصل ذلك في البرازيل حيث كان عامل فقدان الثقة المسبّب الأساسي في تبوّء البرازيل المركز الثاني في العالم من حيث عدد الوفيات والمركز الثالث في عدد الإصابات.

وكان لعامل الثقة أثر إيجابي في نيوزلندا، حيث حلّت في المركز الأخير في العالم بعدد الوفيات والإصابات.

ووفق الإحصاءات، فإن غالبية الفرنسيين، 60 في المئة، لا تثق بالحكومة لإدارة الأزمة الصحية، فحلت فرنسا في المرتبة السابعة في عدد الوفيات وفي المرتبة السادسة في عدد الإصابات في العالم. وأقلّ من نصف البريطانيين يثقون بحكومتهم في ما يتعلّق بالجائحة، فحلّت بريطانيا في المرتبة الخامسة في عدد الوفيات وفي المرتبة الخامسة في عدد الإصابات.

49,3 في المئة في أميركا يثقون بالحكومة.

49,6 في المئة في بلجيكا يثقون بالحكومة.

75 في المئة في كندا يثقون بالحكومة.

83,2 في المئة في نيوزيلندا يثقون بالحكومة.

في قيادة النساء

خلال الجائحة، ظهرت الحكومات التي تقودها النساء أكثر فعالية في محاربة الجائحة. وظهرت دراسة بريطانية تقول إنه في زمن الأزمة الصحيّة، من الأفضل وجود امرأة على رأس بلادها. ومنذ 8 حزيران 2020، بينما كانت الجائحة تتعاظم في العالم، أعلنت رئيسة الحكومة النيوزلندية رسمياً بلدها مستثنًى من الفيروس. والإدارة المثالية نفسها كانت في تايوان التي تقودها امرأة، وتمكنت الجزيرة من التخلص سريعاً من الفيروس. في فنلندا أصغر رئيسة حكومة، سجّلت أرقام وفيات وإصابات أقلّ من كلّ جيرانها في الشمال. كما خرجت الدنمارك، التي تقودها امرأة من الوباء بإغلاقها السريع للحدود.

هذا التحليل الذي يرتكز على 194 دولة، يظهر أن الدول الـ19 التي تقودها النساء، حققت نتائج أفضل في ما يتعلّق بإدارة أزمة (كوفيد 19) بكبح الوباء وبنتيجة أقل في الوفيات. هذا لا يعني، بحسب الدراسة، أن القادة الرجال عملوا بطريقة خطأ، فقد كان بينهم جيدون جداً مثلاً: تشيكيا، اليونان، أستراليا، فيتنام، إلخ....

وفي المقابل، قليلة هي البلدان التي تديرها نساء، وقد فشلت في عملها.

في الخلاصات

1- كشف الوباء مواصفات العالم، وبخاصة اثنتين من هذه المواصفات: ضعف الحوكمة الشاملة من جهة، وتأرجح مركز الثقل من جهة أخرى.

2-الأخطار التي ترتبط بالجائحة حذرت منها رئيسة الشؤون السياسية وتعزيز الثقة في الأمم المتحدة.

أ-تآكل كبير في الثقة بالمؤسسة العامة.

ب-تفاقم بعض التحديات في موضوع حقوق الإنسان.

ج-هشاشة السياقات السياسية والسلم.

3-إن كوفيد أسهم في تسريع بعض المشاكل وفي تعجيل تفاقمها.

4- أضعفت الجائحة القوى العالمية (أميركا، بريطانيا، روسيا) وقوّت الخصومة بين الولايات المتحدة والصين الى درجة الكلام عن حرب باردة جديدة بينهما.

5-أظهرت الجائحة أهمية تعدد الأطراف في عالم معولم، وأن لا دولة باستطاعتها الانتصار وحدها من دون الأخرى.

6- ستتبدل التوازنات الجيوبوليتيكية والعلاقات التي تنتج عنها؛ فيمكن أن تؤثر الجائحة على السلم والأمن الدوليين، وأن تزيد خطر النزاعات الكامنة بين الدول على المستوى الإقليمي والعالمي.

7-إن طرق قيادة الأزمة الصحية على الصعيد العالمي تبدو غير متناسقة، وفي غالبية الوقت هستيرية على صعيد التواصل ومستوى السكان. وعند الانتهاء من احتواء الوباء سيكتشف العالم أن عدداً كبيراً من الدول وقد فشلت بحق في إدارة الأزمة.

8-لا يحتاج القادة خلال الأزمات الى تنفيذ خطّة استجابة معدّة مسبقاً، بل يحتاجون الى إنتاج سلوكيات وتبنّي عقليات تساعدهم في التطلع لى المستقبل.

9-أزمة كوفيد 19 تحتاج الى إبراز أهمية وزخم نموذج القيادة المبني على المصداقية والشفافية والنهج الإنساني.

10-تاريخياً، أجبرت الجائحات الكائنات البشرية على أن تقطع مع الماضي وتصوُّر عالمٍ جديد، وهذه الجائحة لا تمثّل استثناءً.

11-الأزمات لا تضع العدادات على الصفر، بل تتآلف مع العالم كما هو.

12-كشفت الجائحة عن قوة السلطة الأنثوية، علماً بأن نجاح إجراءات مكافحة الوباء تتطلب صفات التواصل والوضوح والتعاطف التي يفتقدها العديد من الرجال المشبعين بالنموذج التقليدي للقيادة.

* الأمين العام لـ«المركز اللبناني للدراسات الاستراتيجية».

على الغلاف

هبّة رمضان: القدس تدوس «شرف» الاحتلال

تبدو القدس على اعتاب تحوّل مهمّ من شأنه كسر حالة الركود التي اصابت الشارع الفلسطيني منذ بدء جائحة كورونا. فمع اشتداد وتيرة الاقتحامات الإسرائيلية للمسجد الاقصى، وتصدّر متطرّفين يهود تلك الاقتحامات، ووصول اعدادهم إلى المئات اسبوعياً، اشتعلت شرارة الاحداث منذ بداية رمضان. لكن الذروة كانت تحشيد المستوطنين لكسر التجمّع الفلسطيني الشبابي الليلي عند باب العمود. لينفجر الشبّان في مشهد مهيب، لم يستطع فيه المستوطنون، الذين يحملون السلاح، الدفاع عن انفسهم امام الغضب الفلسطيني. وحتى محاولة إغلاق المسجد امام المصلّين سقطت بحشد المقدسيّين واهالي الـ 48 عشرات الالاف للصلاة في الاقصى. وفي لم يستطع الوصول، طوّف البلدة القديمة بصلوات امام الجنود

فيما أصيب أكثر من 100 فلسطيني، أعلن إصابة 20 شرطياً إسرائيلياً وعدد من المستوطنين (الأناضول)

القدس ــ الأخبار

تشهد منطقة باب العمود ومحيط البلدة القديمة في القدس المحتلة، منذ بداية رمضان، مواجهات يومية متصاعدة، تدحرجت يوماً تلو الآخر لتصل إلى إحراق مركبات مستوطنين إسرائيليين وضربهم، ورجم عناصر شرطة الاحتلال بالحجارة من مسافة صفر، ليصير من الواضح أن الحدث سيرتقي إلى هبّة جماهيرية على غرار هبّتَي البوّابات الإلكترونية وباب الرحمة

انقلبت ليلة «استعادة الشرف اليهودي» في القدس إلى هزيمة للمستوطنين

وغيرهما، وقد تستمرّ لأسابيع. وتعود بداية «هبّة رمضان» إلى سلسلة اعتداءات للعدو في المسجد الأقصى والبلدة القديمة، بدءاً من اليوم الأول من رمضان، حيث شرعت شرطة العدو في نصب حواجز في ساحة باب العمود وإغلاقها أمام الفلسطينيين ليلاً، في مسعىً لإخلاء الساحة التي يتجمّع فيها الشبان في جلسات سمر كتقليد رمضاني كلّ عام. وتزامن هذا الاعتداء مع اقتحام إسرائيلي لمئذنتين في الأقصى وقطع أسلاك مكبّرات صوت الأذان بزعم «تشويش صوت إمام المصلّين على احتفالات الإسرائيليين بذكرى قتلى جيشهم في ساحة البراق»، وفق القناة الـ 12 العبرية.

الحادثتان شكّلتا الفتيل الذي أشعل المواجهات اليومية ضدّ شرطة العدو وحدها في البداية، لتستمرّ الاشتباكات في باب العمود ومحيطه على شكل كرّ وفرّ بين الشبان والشرطة. وما هي إلا أيام حتى دشّن المستوطنون ومنظّمة «لاهافا» الإسرائيلية المتطرّفة مجموعات «واتساب» تدعو إلى قتل العرب و«استرداد الشرف اليهودي» في القدس، وكان يوم الحسم ليلة الجمعة، إذ تجمّع عدد كبير من المستوطنين في غربي القدس محاولين الوصول بمسيرات إلى باب العمود، لكن هذه الدعوات والاعتداءات قوبلت بأعنف مواجهات شهدتها المدينة منذ هبّة الشهيد محمد أبو خضير في 2014. وبحسب إحصائية حصلت عليها «الأخبار»، نتجت من مواجهات ليلة الجمعة إصابة أكثر من مئة فلسطيني، وتحطيم ثلاث مركبات لشرطة الاحتلال ومركبتين للمستوطنين، فيما قالت قناة «كان» العبرية إن عشرين شرطياً إسرائيلياً أصيبوا بجراح خلال المواجهات، كما كشفت القناة الـ 20 العبرية عن إصابة قائد شرطة العدو شرقي القدس، إضافة إلى ضابط آخر مسؤول في لواء شرطة المدينة.

وسرعان ما توسّعت رقعة المواجهات ليلة الجمعة، لتمتدّ إلى أحياء جديدة من مثل مفرق قرية الطور وحيّ وادي الجوز وغيرها. ووثّقت فيديوات كثيرة مصوّرة شجاعة الشبان في التصدّي للمستوطنين، إذ يظهر في أحدها شبّان يدوسون بأقدامهم على مستوطن حاول الاعتداء عليهم، وفي آخر ضربُ شابّ شرطياً إسرائيلياً بحجر من مسافة صفر ومن ثمّ انسحابه. وتلفت مصادر مطّلعة إلى أن معظم المتظاهرين الفلسطينيين في شوارع القدس هم من الجيل الجديد، مُبيّنة أن قسماً كبيراً من المعتقلين تراوح أعمارهم ما بين 15 و22 عاماً، مؤكدة أن الهبّة الحالية شعبية بامتياز وبلا قيادة محدّدة. ولا تمتاز الهبّة الجارية بعفويتها وشعبيتها فقط، بل بانتشار واسع لتطبيق «تيك توك» في التفاخر الفلسطيني بالتصدّي للمستوطنين. وسبق أن تحدّث مراسل قناة «كان» العبرية، قبل أيام، عن وجود خشية لدى شرطة العدو من تصاعد حوادث مهاجمة المستوطنين في القدس وتوثيقها عبر «تيك توك»، وأن تلك الحوادث تشهد ارتفاعاً، في حين أن شرطة الاحتلال لا تستطيع الوصول دائماً إلى الفلسطينيين الذين يظهرون في هذه الفيديوات.

وإدانتها انتهاكات العدو الإسرائيلي، فيما وجّهت الأذرع العسكرية التحية إلى شباب القدس وأهلها. وقالت «كتائب القسام»، الذراع العسكرية لـ«حماس»: «نقول للعدو الذي يظنّ أنه يمكنه الاستفراد بأقصانا وأهلنا بأن لا يختبر صبرنا، فقدسنا دونها الدماء والأرواح، وفي سبيلها نقلب الطاولة على رؤوس الجميع، ونبعثر كل الأوراق»، مضيفة لأهل القدس: «الشرارة التي تشعلونها اليوم ستكون فتيل الانفجار في وجه العدو المجرم، وستجدون كتائبكم ومقاومتكم في قلب معركتكم، وتلقّن العدو الدروس القاسية وغير المسبوقة». كذلك، قال القيادي في «الجهاد الإسلامي»، خالد البطش: «نحن معكم بسلاحنا وصواريخنا ودمنا، ولن نتخلّى عنكم، وسننظّل نحمي الأرض والشعب والمقدسات»، فيما دعت «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» إلى «تحويل الهبة البطولية إلى انتفاضة شعبية عارمة من أجل تأكيد هويّة وعروبة المدينة، والتصدّي لعمليات التهويد». كما شهدت محافظات قطاع غزة، بعد صلاة الجمعة أمس، عدداً من المسيرات والوقفات المساندة للقدس وهبّتها الشعبية، وهو ما تكرّر في مدن الضفة، لكن في فعاليات ليلية مماثلة.

هكذا، بعد عشرة أيام على انطلاق المواجهات، يُجمع مراقبون على أن المشهد يرتقي إلى «هبّة شعبية» جديدة لن تنتهي بفتح العدو منطقة باب العمود، بل يبدو أنها ستستمرّ لأسابيع، وخصوصاً مع دعوات أطلقها المستوطنون لاقتحام الأقصى في الثامن عشر من رمضان. وفي وقت متأخر أمس، عادت المواجهات لتتجدّد في باب العمود، ما يزيد احتمالية استمرارها، وخاصة في ظلّ مواصلة العدوّ ومستوطنيه الاستفزازات. كذلك، انتقلت المواجهات إلى بعض نقاط الاشتباك في الضفة في حاجز «قلنديا» شمالي القدس، وبلدة عزون شرقي قلقيلية، والمدخل الشمالي لمدينة بيت لحم.

بعد انتهاء المواجهات ليلة الجمعة، أغلقت شرطة الاحتلال بوّابات الأقصى في وجه المصلّين عند الفجر، لكن وصول آلاف الفلسطينيين من القدس والأراضي المحتلة عام 1948، وتجمهرهم أمام البوّابات، أجبرا العدو على فتحها مجدداً، ليؤمّ الأقصى أكثر من 70 ألف مصلٍّ في الجمعة الثانية من رمضان، على رغم تشديد الاحتلال قيوده. في هذا الوقت، سارعت الفصائل الفلسطينية إلى إصدار بيانات تؤكد دعمها للهبّة،

فصل متجدّد في معركة «الحوض التوراتي»

بيروت حمود

في إطار محاولاته الرامية إلى إحكام السيطرة على كلّ مناحي الحياة في القدس عموماً، والبلدة القديمة خصوصاً، وبعد سيطرته على آبارها تحت الأرض وخلق ما يُعرف بـ«القدس التحتي»، يستمرّ العدو الإسرائيلي، بأذرعه المختلفة، في السعي إلى تهويد جبل الزيتون ثمّ البلدة القديمة، ضمن مخطّط «الحوض التاريخي» التوراتي. وآخر فصول ذلك محاولة السيطرة على باب العمود أو بوّابة رمضان؛ أهمّ أبواب البلدة القديمة وأكبرها.

على هذه الخلفية، تشنّ شرطة العدو، بمساعدة المستوطنين، منذ بداية شهر رمضان، حملة مسعورة ضدّ الفلسطينيين، تستهدف إفراغ المسجد الأقصى من المصلّين بُعيد صلاة العشاء مباشرة، ومنع أي تجمّع في مدرّجات باب العمود. وهو ما يقابَل بردّ فعل شرس من قِبَل الفلسطينيين الذين أخذوا على عاتقهم إحباط المساعي الإسرائيلية، مهما كلّف الأمر. استخدم هؤلاء الشبّان الحجارة والمفرقعات النارية وقبضات أيديهم لمواجهة عنف الشرطة، ما أدى إلى إصابة المئات واعتقال العشرات، إلى أن وصلت المواجهات إلى ذروتها ليلة أوّل من أمس، حيث نجح الفلسطينيون في منع المستوطنين من الوصول إلى ساحة باب العمود أو «استعادتها» كما أعلن هؤلاء. أمّا بالنسبة إلى «استعادة الشرف والفخر اليهودي»، فقد قدّمت قبضات الشباب المقدسي «جرعة مكثفة واستثنائية من الإذلال» للمستوطنين، على حدّ تعبير الباحث في شؤون القدس، زياد ابحيص.

ويشير ابحيص إلى أن حضور منظّمة «ليهافا» الإرهابية من أجل مساعدة الشرطة، التي لم تتمكّن من حسم مصير باب العمود، تحوّل إلى «عبء اضطُرت معه الشرطة إلى استقدام فرق الخَيّالة لتفريق المستوطنين عند باب الجديد، حيث كانوا يتجمهرون». وبعد تراجع الحشد، حاول المستوطنون العودة، غير أن «الفلسطينيين كانوا لهم بالمرصاد»، لتصل الاشتباكات للمرّة الأولى منذ خمس سنوات إلى حيّ الشيخ جراح، أحد أكبر الأحياء المُهدّدة بالهدم والإخلاء في القدس. أكثر من ذلك، بعدما فشلت شرطة الاحتلال في منع الاحتشاد على رغم التعزيزات الأمنية، انتقلت إلى محيط باب حطة، الذي أغلقته قبيل صلاة الفجر، في محاولة منها لتسجيل إنجاز بعد كلّ هذا الفشل، ولكن مسعاها الأخير فشل أيضاً، بعد إصرار المصلّين على كسر الحواجز الحديدية، ودخولهم أخيراً بالتكبير والهتاف.

وفي السياق، يعتبر ابحيص أن «النجدة التي أرسلتها أمّ الفحم إلى الأقصى عند صلاة الفجر عقب تظاهرها هي الأخرى في الليلة نفسها، كان لها أثر بالغ في كسر حاجز باب حطة وتشديدات الأقصى، إذ إنهم منعوا استفراد العدو بشباب القدس وشكّلوا رافداً بشرياً ومعنوياً في اللحظة المناسبة». ولذلك دلالات مهمّة، أبرزها أن الفلسطينيين الذين تظاهروا في أمّ الفحم احتجاجاً على تفشّي العنف والجريمة وتواطؤ الشرطة، يدركون أن القضية التي يتظاهرون لأجلها هي قضية وطنية لا تنفصل عمّا يحصل من اعتداءات على إخوانهم في القدس، أو أنها يمكن أن تشغلهم عما يحصل هناك.

ما حصل أيضاً، بحسب الباحث في شؤون القدس، يقود إلى نتيجة مفادها أن ما تحقّق على مدى الأيام العشرة الماضية، يؤكد أن «المحتلّ عاجز أمام الإرادة الجماهيرية، وأنه لا بدّ من مواصلة فتح ساحة باب العمود من دون شروط». ويرى أنه في حال «حضرت هذه العزيمة في الأقصى ومن حوله صباح الإثنين في 28 رمضان، فلن يتمكّن الصهاينة المتطرّفون من اقتحام الأقصى وأداء الطقوس التوراتية الجماعية كما يخطّطون، وسيكون يوماً جديداً من أيام عزّ القدس وأهلها، وهذا يجب أن يكون الهدف التالي بعد فتح ساحة باب العمود».

تلثّ شرطة العدو، منذ بداية شهر رمضان، حملة مسعورة ضدّ الفلسطينيين (أ ف ب)

مقالة

خلفيّات جمود بايدن ضدّ روسيا والصين

وليد شرارة

سياسة التصعيد المعتمَدة من قِبَل إدارة جو بايدن، «الواقعيّة»، ضدّ روسيا والصين في الآن نفسه، تثير تساؤلات وانتقادات كثيرة في الولايات المتحدة. وحتى دونالد ترامب، الرئيس المتّهم من قِبَل غالبية وازنة من الأميركيين بتسريع تراجع المكانة الدولية لبلاده نتيجة لسياسته الخارجية، عبّر عن «صحوة» لافتة عندما نصح وريثه، خلال مقابلة أجراها مع «فوكس نيوز»، بعدم دفع روسيا إلى حضن الصين، مؤكداً أن التعاون المتعاظم بين هذين البلدين هو أسوأ السيناريوات بالنسبة إلى الولايات المتحدة. الموقف الأيديولوجي من الرئيس الروسي و«نظامه» لدى أقطاب إدارة بايدن من جهة، واقتناعهم، من جهة أخرى، بأن الصين تهديد استراتيجي داهم، وهو اقتناع زاده رسوخاً التقرير السنوي الأخير لأجهزة الاستخبارات الأميركية عن تقديراتها للتهديدات الخارجية والداخلية، لا يكفيان لتفسير خيار مواجهة بكين وموسكو معاً. في الواقع، فإن الاعتقاد السائد لدى تيّار عريض في داخل الإدارة الحالية وفي الدولة العميقة الأميركية، هو أن الشراكة الاستراتيجية بين البلدين المذكورين لم تعُد قابلة للفسخ عبر تقديم محفّزات لأحدهما لإبعاده عن الآخر، وأن اتّباع سياسة التوتير معهما هو السبيل الأنجع لحمْل حلفاء الولايات المتحدة التقليديين، الغربيين وغير الغربيين، على الاصطفاف خلفها طلباً للحماية، في سياق دولي يشهد عودة للاستقطاب الحادّ.

شراكة موسكو وبكين المتينة في مواجهة واشنطن

عند زيارته بكين في الـ 23 من آذار الماضي، أعلن وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، في مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره الصيني وانغ يي، أنه «لا يمكن إدارة شؤون العالم عن طريق الإنذارات والعقوبات وإجبار الدول الأخرى على التصرّف وفقاً لما ينتظرونه منهم»، في إشارة إلى السياسة التي تنتهجها الدول الغربية حيال روسيا والصين. وهو استشهد بمَثل روسي يقول: «لا يمكن الإجبار في الحب»، مضيفاً إن «الولايات المتحدة، للأسف، لم تتعلّم ذلك وتعمل عكسه... أنا مقتنع بأنّنا سنبذل قصارى جهدنا للحفاظ على العلاقات الروسية ـ الصينية وحمايتها. لن نخضع لأيّ تهديدات من الدول غير الصديقة لبلدَينا، وسنحمي طرق التجارة والمبادلات، وهذا يجعلنا أقوى». وكان لافروف، وهو أحد أهمّ الذين ساهموا في صياغة السياسة الخارجية الروسية الراهنة، قد كرّر مراراً، وفي مختلف المناسبات، أن الرهان الغربي على إغراء روسيا بفسخ شراكتها مع الصين مقابل مكاسب اقتصادية وسياسية هو رهان عقيم. المواقف الصادرة من بكين تحرص، أيضاً، على إبراز قوة هذه الشراكة. ففي افتتاحية لصحيفة «غلوبال تايمز» التي تعكس وجهةَ نظر القيادة الصينية، رأت الصحيفة أن «العلاقات الثنائية الأكثر تأثيراً في أوراسيا هي تلك التي تجمع الصين وروسيا في إطار شراكة التنسيق الاستراتيجية الشاملة في عصر جديد. البلدان يدركان الوزن الكبير لعلاقاتهما، ومع الاستمرار في تطويرها، يأخذان بعين الاعتبار حساسيات ومخاوف دول الجوار الأخرى في المنطقة، ويؤكدان أن ما يجمعهما شراكة لا تحالف». هذا الإصرار على التمييز بين مفهومَي الشراكة والتحالف يَظهر مجدّداً في نهاية الافتتاحية: «إذا اعتُمدت الولايات المتحدة على تحالفاتها لحلّ المشكلات التي سبّبها منطق الهيمنة الذي عفا عليه الزمن، فسيكون هذا الأمر ضرباً من الجنون. في المقابل، فإن مُضيّ الصين وروسيا في بناء شراكة بدلاً من التحالف يُظهر ثقتهما وحسن نياتهما، وينسجم بشكل أكبر مع روح العصر». لقد أدّت استراتيجية الاحتواء المتّبعة من قِبَل الولايات المتحدة تجاه البلدين في العقدَين الماضيين، والتي تُرجمت تموضعاً عسكرياً في جوارهما، ونشراً لبطّاريات الصواريخ المضادّة للصواريخ، وصياغة لتحالفات عسكرية وسياسية تستهدفهما، وسعياً لزعزعة استقرارهما الداخلي عبر استغلال وتسعير التناقضات القومية والدينية والاجتماعية ودعم النزعات الانفصالية، إلى دفعهما إلى التقارب والتعاون، ومن ثمّ إلى تطوير شراكة استراتيجية فعلية للتصدّي لها. لقد سرّعت الاستراتيجية العدوانية الأميركية عملية بناء الفضاء الأوراسي، والتي يؤدّي فيها مشروع «الحزام والطريق» الصيني دور القاطرة المركزية. كتلة المصالح الضخمة المشتركة التي تتعاظم بفعل هذا المشروع في ميادين الاقتصاد والطاقة والبنى التحتية والتعاون العلمي والتكنولوجي، تعني ببساطة أن المحاولات الأميركية والغربية لفكّ شراكة بكين ــ موسكو ستكون بغاية الصعوبة، إن لم تكن مستحيلة، ومن غير الواضح ما هو المقابل المُغري الذي يمكن أن تُقدّمه الأطراف الغربية لحمل أحد الشريكَين على القطيعة مع الآخر. وفي غالب الظنّ، فإن وعي هذه الحقيقة هو الذي يحدو بواشنطن للتصعيد ضدّهما معاً، والسعي عبر سياسة توتير متعمّدة على النطاق الدولي، إلى إثارة استقطاب يفرض على الحلفاء الاصطفاف خلفها طلباً للحماية.

> لقد أدّت استراتيجيّة الاحتواء الأميركيّة المتّبعة تجاه البلدين إلى دفعهما إلى التقارب والتعاون

إحياء التحالفات عبر إثارة الاستقطاب الدولي

لا شكّ في أن معظم النخب السياسية الأوروبية تشارك نظيرتها الأميركية مرارتها وهلعها من صعود دور القوى غير الغربية ونفوذها الاقتصادي والسياسي، على المستوى الدولي، وفي مقدّمتها الصين وروسيا. وعلى الرغم من أن مسؤولين أوروبيين، من أمثال إيمانويل ماكرون وأنجيلا ميركل، أعلنوا أنهم ينظرون إلى روسيا على أنها قوة «أوروبية»، فإن الموقف الفعلي والعميق والسائد هو عكس ذلك، وخاصة أن الخيار الأوروبي في أوساط النخب الروسية قد اندثر، وبات الخيار الأوراسي هو الأقوى. غير أن المشتركات الأيديولوجية بين نُخب ضفّتَي الأطلسي لا تَمنع تباين المصالح الاقتصادية وحتى الاستراتيجية في بعض الأحيان. قد تكره قطاعات معتبَرة من النخب الألمانية فلاديمير بوتين، لكن مشروع «السيل الشمالي 2» يخدم المصالح الاقتصادية والاستراتيجية الألمانية والأوروبية. والأمر نفسه ينطبق على العلاقات الاقتصادية والتجارية مع لاعب أساسي في السوق الرأسمالية العالمية، وهو الصين. مصالح الدول الأوروبية وقسم من القوى الاقتصادية المسيطرة فيها تتطلّب تنمية هذه العلاقات مع بكين، لا الاندراج في الاستراتيجية الأميركية التي تقود إلى الصدام معها. اعتبارات مشابهة تحكم مواقف دول شرق آسيا التي يخشى عدد منها نموّ النفوذ الصيني في القارّة، ولكن الذي يجمعها ببكين أيضاً كتلة مصالح مشتركة كبرى اقتصادية وتجارية، مرشّحة للتعاظم بعد إبرام أكبر اتفاق تجاري في العالم بين تلك الأطراف في 15 تشرين الثاني 2020 .

نموّ المصالح المشتركة بين هذه الدول الأوروبية و/ أو الآسيوية، وبين «المنافسين الاستراتيجيين» للولايات المتحدة، وما قد يترتّب عليه من تمايز في سياساتها عن تلك الأميركية، هو ما يثير مخاوف من يتوق في واشنطن إلى تأبيد موقعه المهيمن على الصعيد العالمي. تحوُّل التحالفات بين واشنطن وحلفائها إلى شراكات، على غرار الشراكة بين بكين وموسكو، هو ما تريد الأولى الحؤول دونه، لأن هيمنتها ارتبطت دوماً، إضافة إلى تفوُّقها العسكري النوعي، بشبكة تحالفات ثابتة وواسعة تحت قيادتها. لهذه الغاية، تلجأ إدارة بايدن إلى افتعال الأزمات مع روسيا والصين، للدفع نحو استقطاب دولي حادّ، علّه يجبر الحلفاء على «العودة إلى بيت الطاعة» والبقاء فيه.

اليمن

تجديد عرْض التفاهم على مأرب: السعودية تترقّب الهزيمة

مع استمرار تقدُّم قوات صنعاء في اتّجاه مدينة مأرب، ووصولها إلى مواقع حاكمة في آخر المناطق الفاصلة عن المدينة، تحاول السعودية، جاهدة، تلافي هزيمة باتت محتومة، بإبدائها، عبر وساطات إقليمية، استعدادها لقبول المبادرة المطروحة سابقاً من قِبَل «أنصار الله» في شأن مأرب، من دون أن تُقدِم إلى الآن على أيّ ضمانات كفيلة بمحو إرثها في التملّص من التعهّدات أمام قيادة صنعاء. ومن هنا، تبدو المعركة متواصلة حتى انتزاع السيطرة على مركز المحافظة، حيث تبدو الموازين جميعها مائلة لصالح الجيش و«اللجان الشعبية»

لقمان عبد الله

مع سيطرة الجيش اليمني و«اللجان الشعبية» على عدد من المواقع الحاكمة في منطقة الطلعة الحمراء، آخر المناطق الفاصلة عن مأرب، وسط انهيار غير مسبوق للنسق الدفاعي الأخير لقوات الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، طرح العديد من الأسئلة حول القرار المرتقب لقيادة صنعاء، وما إذا كانت ستستكمل اندفاعتها باتجاه التحرير الكامل للمدينة من الجهة الغربية، أم أنها ستنتظر بعض الوقت لاستكمال تحرير بقية الجبهات، قبل أن تُطبق قوّاتها على مركز المحافظة وتبدأ عمليةً منسّقة لاستعادته؟ على أيّ حال، ومهما كانت التكتيكات التي سيتّبعها الجيش و«اللجان» في وثبتهما الأخيرة، فإن قرار تحرير المدينة متّخذ على المستوى السياسي، فيما على القادة الميدانيين تشخيص التكتيك المناسب، وفي أسرع وقت ممكن، وبما يقلّل من الخسائر البشرية والمادّية إلى الحدّ الأدنى.

في هذا الوقت، علمت «الأخبار» أن جهوداً إقليمية بُذلت في الأيام الماضية، قدّم في خضمّها السعوديون تنازلات وصلت إلى حدّ موافقتهم الكاملة على مبادرة رئيس «المجلس السياسي الأعلى» في صنعاء، مهدي المشاط، والتي قدّمت في خريف العام الماضي، في شأن مأرب، على أن السعودية، ومن خلفها الولايات المتحدة وبريطانيا، لم تُقدّم بعد الضمانات اللازمة للسير في مبادرة المشاط أو أيّ مبادرة أخرى، الأمر الذي يثير الشكوك لدى صنعاء في صدقية نيات التحالف السعودي - الإماراتي، وخصوصاً أن التجارب السابقة أظهرت تملّص الأخير من تعهّداته عندما تتحقّق مأربه، بذريعة الإضطرار إلى الالتزام بالمرجعيات الدولية في شأن اليمن، وقرار مجلس الأمن 2216 الذي يجيز للسعودية وحلفائها استباحة السيادة اليمنية جوّاً وبحراً وبرّاً. لكن حركة «أنصار الله» ترى أن تلك القرارات والمرجعيّات هي السبب الرئيس في إغلاق الأفق السياسي وإفشال المسارات التفاوُضية منذ بداية الحرب، فضلاً عن أنها صدرت في ظلّ اختلال فاضح للموازين السياسية والعسكرية، ولم تكن صنعاء طرفاً فيها بأيّ حال، وجاءت صياغتها بما يراعي مصالح النظام السعودي كاملة، مع إبقاء اليمن تحت هيمنته ووصايته وبما يتناقض مع السيادة الوطنية. وعليه، ترى صنعاء أن المرجعيات والقرارات المشار إليها لم تعد صالحة للتأسيس عليها، سواء في مسار جزئي، كما حصل في «اتفاق استوكهولم» في شأن الحديدة وكما هو مطروح حالياً في مأرب، أو في المفاوضات الشاملة.

يضغ هجوم قوات صنعاء على مأرب الإدارة الأميركية في موقف حرج (أ ف ب)

> تضع الاندفاعة اليمنية الحالية نحو مأرب الجانب السعودي ومن خلفه واشنطن أمام تحدٍّ صعب

وتضع الاندفاعة اليمنية الحالية نحو مأرب الجانب السعودي ومن خلفه واشنطن أمام تحدٍّ صعب، بعدما كان الرهان على فشل «أنصار الله» في السيطرة على مركز المحافظة، من خلال استنزاف طرفي المعركة أي حزب «الإصلاح» (الإخوان) و«أنصار الله»، وبالتعويل على افتقار الأخيرة إلى الحاضنة الشعبية هناك. كان في تقدير «التحالف» أنه مع مرور أكثر من شهرين على بدء الهجوم، استطاعت القبائل والفصائل الموالية له امتصاص عنصرَي المفاجأة والضغط الهائل والسريع من قِبَل الجيش و«اللجان»، ما يعزّز احتمالية خسارة صنعاء في هذه المعركة. وجهدت السعودية، في الأيام الماضية، في إبقاء المعركة ثابتة في خطوط القتال الحالية، مُعوّلة على ثبات وكلائها في الميدان، مع الاستمرار في إرسال التعزيزات العسكرية من المحافظات إلى الخطوط الأمامية، وتَواصل الدعم المالي والتسليحي والغطاء الجوّي من الرياض. لكن كما في كلّ مرّة، لم تتوافق حسابات المملكة مع ما يجري على الأرض. إذ إن من شأن كسر خطّ الدفاع الأخير لقوات هادي منْح حالة الاستنزاف، ووضْع حدّ لتفوّق سلاح الجوّ السعودي. أمّا في ما يخصّ الحاضنة الشعبية، فقد عكست الأسابيع الماضية فشل الرهانات السعودية، حيث بات سكّان مأرب أقرب إلى قوات صنعاء منهم إلى أيّ طرف آخر، فيما انخرط الكثير من شباب القبائل في القتال في صفوف «أنصار الله»، توازياً مع استمرار جهود الوجهاء والشيوخ لتسليم المدينة من دون قتال. وبحسب المعلومات، فإن الكثير من المجاميع العسكرية والقبلية، التي كانت لا تزال تقاتل في صفوف العدوان، أبدت جهوزية للانضمام إلى الجيش و«اللجان» في الوقت المناسب.

وفي السياق ذاته، يضع هجوم قوات صنعاء على مأرب الإدارة الأميركية الجديدة في موقف حرج للغاية، إذ تدرك الأخيرة أن هذه المعركة لن تُحدّد الرابح والخاسر في اليمن فحسب، بل في المنطقة والإقليم برمّته. وكان المبعوث الأميركي إلى اليمن، تيم ليندركينغ، قد حذّر، منتصف الأسبوع الجاري، أمام أعضاء في الكونغرس، من أن الهجوم على مأرب الغنية بالغاز يشكّل «أكبر تهديد لجهود السلام»، معتبراً أنه إذا لم يتوقّف القتال هناك «فسيؤدي إلى موجة أكبر من المعارك والاضطرابات».

سوريا

9

«قسد» تواصل تصعيدها: فشل هدنة ثالثة في القامشلي

الحسكة ــ أيهم مرعي

توحي التعزيزات العسكرية التي استقدمتها «قسد» من مختلف المناطق التي تسيطر عليها، إلى الأحياء الجنوبية لمدينة القامشلي، بنيات مسبقة للسيطرة على حيّ طيّ، في محاولة لإنهاء وجود «الدفاع الوطني» في المدينة. وترى «الأسايش»، التابعة لـ«قسد»، أن لاقتحام الحيّ والسيطرة عليه.

ويؤكّد مصدر ميداني، في حديث إلى «الأخبار»، أن «الهدن الثلاث خرقها مسلّحو الأسايش، وباغتوا الدفاع الوطني، وتمكّنوا من إحداث تقدّم ميداني في المنطقة»، مضيفاً إن «الأسايش استقدموا أسلحة متطوّرة، مع تعزيزات عسكرية كبيرة من مختلف المناطق التي يسيطرون عليها، ما أدّى إلى انقلاب التوازن في القوى، وتحقيق خروقات ميدانية في الأجزاء الشرقية من الحيّ الجنوبي». ويلفت المصدر، في المقابل، إلى أن «عناصر الدفاع يعملون على استقدام تعزيزات عسكرية من الأرياف الجنوبية، لاستعادة المناطق التي خسروها داخل الحيّ»، متابعاً أنهم «يدافعون عن منازلهم ومناطقهم ضدّ هجوم متعمّد عليهم». في غضون ذلك، أصدرت قبيلة طيّ بياناً نَدّدت فيه بـ«اعتداءات ميليشيا قسد وممارساتها الإجرامية بحقّ الأهالي في أحياء مدينة القامشلي، وارتهانها للأحتلال الأميركي ومخطّطاته ضدّ الوطن وأبنائه». واعتبرت القبيلة أن «استخدام السلاح والمدرّعات من قِبَل الميليشيا بهذه الهمجية ضدّ المدنيين، وارتقاء شهداء من الشيوخ والأطفال والنساء، يشكّل خيانة للشعب والأرض والتاريخ». كما دعا البيان «أبناء العشائر المنخرطين في صفوف قسد إلى الانسحاب الفوري منها، وإعلان المقاومة الشعبية ضدّ المحتل الأميركي وأدواته»، مشيراً إلى أن «توقيت الممارسات الإرهابية من خلال تصريحات إعلامية لقائد الميليشيا قسد يهدف إلى التشويش على استحقاق الانتخابات الرئاسية». في المقابل، برز موقف أميركي من الاشتباكات التي دارت في القامشلي،

> ماكنزي: نبذل كلّ ما في وسعنا لتهدئة الوضع في القامشلي

وجود «الدفاع الوطني» والقوات الرديفة للجيش السوري في مربّعات داخل مناطق سيطرتها، يشكّل خطراً على وجودها، لكون تلك المربّعات تعدّ حاضنة شعبية علنية للحكومة السورية في منطقة الجزيرة. لذلك، استغلّت «الأسايش» الهُدَن الثلاث التي أُعلن عنها طوال الأيام الأربعة الماضية من الاشتباكات، لتعزيز حضورها العسكري، واستقدام أسلحة ومعدّات متوسّطة وثقيلة من منبج والحسكة والرقة، تمهيداً لاقتحام الحيّ والسيطرة عليه.

ويؤكّد مصدر ميداني، في حديث إلى «الأخبار»، أن «الهدن الثلاث خرقها مسلّحو الأسايش، وباغتوا الدفاع الوطني، وتمكّنوا من إحداث تقدّم ميداني في المنطقة»، مضيفاً إن «الأسايش استقدموا أسلحة متطوّرة، مع تعزيزات عسكرية كبيرة من مختلف المناطق التي يسيطرون عليها، ما أدّى إلى انقلاب التوازن في القوى، وتحقيق خروقات ميدانية في الأجزاء الشرقية من الحيّ الجنوبي». ويلفت المصدر، في المقابل، إلى أن «عناصر الدفاع يعملون على استقدام تعزيزات عسكرية من الأرياف الجنوبية، لاستعادة المناطق التي خسروها داخل الحيّ»، متابعاً أنهم «يدافعون عن منازلهم ومناطقهم ضدّ هجوم متعمّد عليهم». في غضون ذلك، أصدرت قبيلة طيّ بياناً نَدّدت فيه بـ«اعتداءات ميليشيا قسد وممارساتها الإجرامية بحقّ الأهالي في أحياء مدينة القامشلي، وارتهانها للأحتلال الأميركي ومخطّطاته ضدّ الوطن وأبنائه». واعتبرت القبيلة أن «استخدام السلاح والمدرّعات من قِبَل الميليشيا بهذه الهمجية ضدّ المدنيين، وارتقاء شهداء من الشيوخ والأطفال والنساء، يشكّل خيانة للشعب والأرض والتاريخ». كما دعا البيان «أبناء العشائر المنخرطين في صفوف قسد إلى الانسحاب الفوري منها، وإعلان المقاومة الشعبية ضدّ المحتل الأميركي وأدواته»، مشيراً إلى أن «توقيت الممارسات الإرهابية لميليشيا قسد يهدف إلى التشويش على استحقاق الانتخابات الرئاسية». في المقابل، برز موقف أميركي من الاشتباكات التي دارت في القامشلي،

شهدت القاعدة الروسية في مطار القامشلي اجتماعات متتالية بهدف تثبيت وقف إطلاق النار (أ ف ب)

من خلال تصريحات إعلامية لقائد القيادة المركزية الأميركية، الجنرال كينيث ماكنزي، الذي قال «(إننا) نبذل كلّ ما في وسعنا لتهدئة الوضع»، مضيفاً: «نريد حلّ مشكلة القامشلي بالحوار». وتأتي هذه التصريحات بعد اتهامات سورية حكومية لـ«واشنطن بتحريض قسد على زعزعة استقرار المنطقة، للتأثير على استحقاق الانتخابات الرئاسية». وردّت «قسد»، بدورها، بصورة غير مباشرة على تلك الاتهامات، بتصريحات لسكرتير «حزب اليسار الديموقراطي الكردي»، أحد أبرز أحزاب «الإدارة الذاتية»، أشار فيها إلى أن «المشاركة في الانتخابات والسماح بوضع صناديق الاقتراع في مناطق الإدارة الذاتية لم يُناقشا بعد، لكن التقدير العام يشير إلى عدم مشاركة الإدارة وأحزابها في الانتخابات». ولفت كدو إلى أن «القوى الوطنية السورية كافة لن تشارك في هذه الانتخابات ولا ترى مبرّراً لإجرائها»، متابعاً أن «مناطق شمال وشرق سوريا لن تكون مكاناً لإجراء هذه الانتخابات».

وأتت التطوّرات الميدانية الأخيرة بعد ساعات قليلة من اجتماع وفد من وجهاء المدينة ومثقّفيها مع قيادات «الدفاع الوطني» و«الأسايش»، والإعلان عن التوصّل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، لم يصمد إلّا لساعات، بعد مقتل أحد أعضاء الوفد، الشيخ هايس الجربان، برصاص قنّاص أمام منزله في حي حلكو. وفي هذا السياق، يؤكد أحد أعضاء الوفد المجتمعي، الشيخ بسمان العساف، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «الوفد اتّفق مع قيادات الطرفين على وقف إطلاق النار، ونشر الجيش السوري والشرطة الحكومية في خطوط التماس، مع فضّ الاشتباكات، والعمل على عدم تكرارها في الأيام القادمة»، مستدركاً بأن «الاتفاق انتهى بعد خرق وقف إطلاق النار، واستشهاد أحد أعضاء الوفد». ويتوقع العساف، مع ذلك، أن «ينجح مسار الحوار والمفاوضات، وأن يتمّ تثبيت وقف إطلاق النار، وإنهاء حالة التوتر القائمة خلال الساعات القادمة». وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار»، من مصادر مقرّبة من الجانب الروسي، أن «اجتماعات متتالية شهدتها القاعدة الروسية في مطار القامشلي، على مدار يوم أمس الجمعة، ضمّت ممثّلين عن الجيش السوري وقيادات قسد والأسايش، لإنهاء التوتر». وأشارت المصادر إلى أنه «تمّ الاتفاق على تثبيت وقف إطلاق النار، مع بحث أسباب الخلافات، والعمل على حلّها»، ورجّحت أن يتمّ «التوصّل إلى اتفاق، وإعادة الهدوء إلى المدينة، خلال الساعات القادمة».

قضية

106 أعوام على «الإبادة الأرمينية»: كيف السبيل إلى تصفية الحساب؟

تحلُّ الذكرى السادسة بعد المئة لـ«الإبادة الأرمينية» في وقتٍ يُعدّ قاسياً على الأرمن، سواء في أرمينيا أو في قره باغ أو في الشتات، بفعل الحرب الطاحنة التي تلمّوا فيها شرّ هزيمة أمام أذربيجان. ومن ورائها تركيا، لقا تمكّنت باكو من استعادة كلّ الأراضي التي سقطت بيد يريفان بعد تفكُّك الاتحاد السوفياتي. لكن ما يزيد الأمر سوءاً ويوشّر إلى جولات اقتتال مقبلة، واقع أن باكو تواصل استفزاز جارتها بأشكال توسّس، كما تقول يريفان. لكراهية الأرمن الذين يركنون إلى ارتكابات الأتراك العثمانيين في حقّهم، والتي تُعرف بـ«الإبادة»، بوصفها بوصلتهم الى يوم آخر، فيما لا تزال تسود في تركيا القرن الحادي العشرين ذهنية «الاتحاد والترقّي»

محمد نور الدين

ربّما هي المرّة الأولى منذ عام 1923، تاريخ اعتبار ناغورنو قره باغ منطقة حكم ذاتي ضمن أذربيجان السوفياتية، التي يعيش فيها الأرمن، سواءً في أرمينيا أو في قره باغ أو في الشتات، لحظة هي الأقسى منذ «الإبادة» في عام 1915. فبعد كارثة القتل والتهجير في ذلك العام، تفرّق شمل الأرمن في تركيا أيادي سبأ، ولم يبقَ سوى أولئك القاطنين في ما عُرف لاحقاً بـ«جمهورية أرمينيا السوفياتية»، وعاصمتها يريفان، والتي باتت تُعتبر الموطن الرسمي للأرمن. ومعها، كان إقليم ناغورنو قره باغ (أرتساخ) يتحوّل إلى منطقة حكم ذاتي بقرار من وزير القوميات، جوزف ستالين، في عام 1923، واستمرّ على هذا النحو إلى حين تفكّك الاتحاد السوفياتي ونشوب الصراع المسلّح بين الأرمن والأذربيجانيين، والذي انتهى إلى سيطرة الأرمن الكاملة على الإقليم، كما على جميع الأراضي الواقعة بينه وبين أرمينيا، وتالياً إلى إعلان ولادة «جمهورية أرتساخ». بقي الوضع على حاله إلى حين اندلاع «حرب الـ 44 يوماً» الأخيرة بين أذربيجان وأرمينيا حول قره باغ، والتي انتهت إلى إحدى أسوأ الكوارث التي عرفها الأرمن في المئة سنة الأخيرة. استعادت باكو كلّ الأراضي التي سقطت بيد يريفان، كما نصف مقاطعة قره باغ تقريباً. إزاء هذه الكارثة، امتنع رئيس الوزراء الأرميني، نيكول باشينيان، عن تحمّل المسؤولية، رافضاً الاستقالة، إلى أن ارتضى التنازل بفعل ضغط الشارع، على أن تُجري انتخابات نيابية مبكرة قريبة يأمل أن تعيده إلى السلطة. إلى ذلك، افتُتحت في باكو في 12 نيسان/ أبريل الجاري حديقة عُرضت فيها مخلّفات الحرب الأخيرة مع أرمينيا. وقد أثار استعراض الرئيس الأذربيجاني، إلهام علييف، بثياب عسكرية، المئات من القبّعات الحديدية المعلّقة على الجدران لجنود أرمن قُتلوا أو أُسروا أو فُقدوا في الحرب، استياءً واستنكاراً واسعَين لدى الأرمن الذين اعتبروا العمل تحقيراً لقتلاهم، ومأسسةً لكراهيتهم.

وسط هذه الظروف، يحاول الأرمن ألّا يضيّعوا البوصلة الرئيسة في جوهر حركتهم منذ أكثر من مئة عام، وهي أن الأتراك العثمانيين ارتكبوا «إبادة» في حقّهم ذهب ضحيّتها مليون ونصف مليون أرميني، فيما تُنكر تركيا هذا الاتهام. ومع أن الأرمن الذين انتشروا في العالم، كانوا هم، وليس أرمينيا، حاملي لواء «القضيّة»، فإن الذكرى هذه السنة تحلّ وهم يحاولون إعادة تصويب البوصلة نحو مسألة «الإبادة»، المنطلَق الأهمّ في مجمل المسألة الأرمينية، ومن بعدها تأتي العودة إلى الأرض والتعويضات، وهو ما يعبّر عنه الأرمن باللغة التركية بثلاث تاءات (TTT): تهجير tehcir، وتعويضات tazminat، وأرض toprak.

في الذكرى الـ106 لـ«الإبادة»، لوحظ تجاهل غالبية الصحافة التركية هذه المناسبة مع إعلان الإقفال التام بدءاً من الأربعاء ولغاية مساء الأحد بسبب «كورونا»، فيما كان يحتدّ الخطي على درب البحث في «الإبادة» المؤرّخ التركي المعروف، تانير أقتشام، الذي يدرس في جامعة كلارك الأميركية، والمتخصّص في «الإبادة الأرمينية»، وله العديد من المؤلّفات حولها. وقبل أيّام، أجرت الصحافية فيليز غازي مقابلة في غاية الأهمية لصحيفة «غازيتيه دوار» التركية، مع أقتشام، لمناسبة صدور كتابه الجديد «تاريخ قصير من الإبادة الأرمينية».

يشير أقتشام، ابتداء، إلى أن «الإبادة» في ميثاق الأمم المتحدة لعام 1948 استُخدمت للدلالة على حدث معيّن ومحدّد، بينما يُعدُّ مصطلح «الإبادة» مساراً اجتماعياً. ومن هذه الزاوية، «يُفترض أن نفهم أن الإبادة الأرمينية في تركيا بدأت باتفاق برلين (1878)، وانتهت بمعاهدة لوزان (1923). وأهمية البند 61 من اتفاق برلين أنه أشار، للمرّة الأولى، إلى الدولة العثمانية لاتخاذ تدابير تحول دون الاعتداء على الأرمن. للمرّة الأولى، جاء ذكر كلمة الأرمن، ليس للدلالة على وجود مشكلة بينهم وبين الدولة، إنّما للإشارة إلى اشتباكات ذات طابع إثني ودِيني في كلّ المنطقة بين قوميات مختلفة، ومن بعدها، بدأت تنظيمات أرمينية ثورية بالظهور. ووصلت المجازر ضدّ الأرمن إلى ذروتها بين عامَي 1894 و1897، عندما قامت الكتائب التابعة للسلطان عبد الحميد بقتل ما بين 80 إلى 300 ألف أرميني». كانت مطالب الأرمن اجتماعية وسياسية طبيعية، وعدم تحقيقها يعني تعريض وحدة البلاد للخطر. لكن النخبة العثمانية وجدت في المساواة بين المسيحيين والمسلمين خطراً على البلاد. وبذلك، بات يُنظر إلى المسألة على أنها أمنية، ولا بدّ من حلّها على أساس «الأمن البنّاء». من هنا، تحدّدت للمسيحيين أماكن معيّنة ليقطنوا فيها، باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، في ما يشبه راهناً وضع أكراد تركيا.

في 24 نيسان عام 1915، اعتُقل حوالى 200 مثقّف أرميني، وكانت هذه بداية ما سيُعرف لاحقاً بـ«الإبادة الأرمينية». يقول أقتشام إن الاعتقالات طالت مثقّفين ليس في إسطنبول فحسب، بل في كلّ الأناضول. وهؤلاء، بحسبه، إمّا قُتلوا أو سُجنوا أو عُذّبوا. ومن بعد المثقّفين، جاء دور رجال الدين، ثم قادة المجتمع الأرميني، حتى أن العثمانيين استخدموا سورياً «حاوية للقمامة» - كما يصفها المؤرّخ معتذراً عن استخدام هذه الكلمة - لإلقاء الأرمن فيها. ويقدّر أقتشام أرقام الذين استطاعوا الوصول إلى سوريا، حتى كانون الثاني/ يناير 1916، بما بين 500 ألف و800 ألف شخص، مات منهم 10 آلاف، على هذه الخلفية، أُرسل شكري قايا إلى سوريا لحلّ المسألة جذرياً، وهو نفسه أصبح وزيراً للداخلية في الثلاثينيات. وفي إسطنبول، جمع قايا المثقّفين الأرمن وقتلهم، أمّا في سوريا حيث لا يوجد سوى رجال دين أرمن، فاعتقلهم وجمعهم في معسكر في منطقة منبج ومحاهم في ظروف حاول تظهيرها على أنها طبيعية. بحسب أقتشام، فإن القادة العثمانيين في حلب، بزعامة مصطفى عبد الحقّ وعبد الأحد نوري، أشاروا إلى كيفية تنظيم الاعتداءات على المعسكرات الأرمينية، ونشْر الأمراض والجوع والعطش. فاتُّخذ قرار بإخلاء معسكر دير الزور ورمي 200 ألف أرميني في الصحراء لمواجهة الموت.

> كانت مطالب الأرمن اجتماعية وسياسية طبيعية، وعدم تحقيقها يعني تعريض وحدة البلاد للخطر

وباعتراف الأتراك أنفسهم، فإن قرار «الإبادة» اتُّخذ في إسطنبول من قِبَل اللجنة المركزية لـ«الاتحاد والترقّي». ويعتقد بهاء الدين شاكر، عضو اللجنة المركزية، أن المدبّر الرئيس لـ«الإبادة»، هو طلعت باشا، وفي سوريا شكري قايا ومصطفى عبد الخالق وعبد الأحد نوري، ومعهم جمال باشا. ويصف أقتشام قرار إسطنبول بأنه «عمليّة هندسة لمهندسين اجتماعيين في إسطنبول». وإذ يتساءل «كيف يمكن الجار أن يقتل جاره»، يجيب أن وراء ذلك عاملَين في غاية الأهمية: الأوّل الإسلام، والثاني النهب والسرقة. ولم تتوانَ الصحف الكردستانية المؤيّدة لـ«حزب العمال الكردستاني» عن تظهير مسألة «الإبادة»، إذ نشرت العديد من المقالات لهذه المناسبة، منها ما جاء في صحيفة «يني أوزغور غوندِم» باللغة التركية. وكتب مهراج أورال، قائلاً إن المجزرة الأرمينية في الأناضول هي «خنجر غرز في حضارات الأناضول، حيث انبعث أوّل نور للحضارات». ويرى أن «محاولة الصهر الفكري قضت على التنوّع واللغني الحضاري للأناضول. المجازر ضدّ الأرمن فتحت الطريق أمام المجازر ضدّ الأكراد في القرن العشرين. أمّا تصفية الحساب مع التاريخ، فليس بدفن الأحداث». من جهته، يكتب نوبار أوزانيان أنه على رغم مرور 106 أعوام على «الإبادة»، فـ«(إننا) لا نعرف الكثير عنها، لأن ذهنية الاتحاد والترقّي لا تزال تعمل حتى اليوم وبالقمع نفسه، لكي ينسى الناس ما حصل في حينه...».

يزيد من المسألة الأرمينية تعقيداً، انحياز باشينيان إلى الغرب على حساب العلاقات مع روسيا (أ ف ب)

العالم

ليبيا

العسكر والمرتزقة وتصدير النفط: تكاثر العقبات أمام حكومة الدبيبة

بينما تُسابق الحكومة الليبية الزمن لتحقيق التزاماتها بإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية بحلول نهاية العام، تتزايد العقبات في طريقها في ظلّ الخلافات المتصاعدة بين القادة العسكريين وداخل المؤسّسات الاقتصادية

يسعى رئيس الوزراء الليبي، عبد الحميد الدبيبة، إلى تجاوُز العقبات المتزايدة يوماً بعد آخر أمام حكومته، في ظلّ صدامات متعدّدة لم يستطع حسمها حتى الآن، سواء في مؤسسة النفط التي أوقفت التصدير، أو بين القادة العسكريين الذين جرى منعهم من الحديث إعلامياً في محاولة لوقف السجالات والسيناريوات التي يطرحها مقرّبون من اللواء المتقاعد خليفة حفتر عبر الإعلام السعودي، وهي محاولة تبدو ناجحة حتى الآن بتوافق بين الدبيبة ورئيس «المجلس الرئاسي»، محمد المنفي. في الملفّ العسكري، سلّم المنفي والدبيبة من رجال حفتر وظهورهم المتكرّر على الشاشات لإيصال رسائل محدّدة حول قوتهم وسيطرتهم على الأرض، وخاصة بعدما قبل الدبيبة أن يبقى على وزارة الدفاع تحت قيادته، وألّا يعين وزيراً للحقيبة، مع إرجاء نقطة توحيد المؤسسة العسكرية إلى اجتماعات لجنة «5+5» التي تنعقد في سرت. أمّا المنفي، فأصدر قراراً بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة بمنع العسكريين من الإدلاء بتصريحات إعلامية إلّا بموافقات مسبقة، في خطوة قوبلت بامتعاض وترقّب، وخاصة أن المقصود بها على وجه التحديد العميد خالد المحجوب، ذراع حفتر اليمنى، الذي يمرّر عبره رسائل عدة على المستوى الإعلامي. كما ناقش المنفي مسألة تأمين الحدود الجنوبية وأحكام السيطرة عليها ولا سيما مع تشاد، وهي خطة سيجري تنفيذها بالتعاون بين البلدين، إذ يُعتقد أن جزءاً من المتمرّدين في تشاد انضمّ إليهم مرتزقة أتراك خلال الأيام الماضية، وهي قضية يجري علاجها على مستوى الاستخبارات بين البلدين بالاشتراك مع فرنسا وأطراف أخرى.

الوضع العسكري كان الأبرز أيضاً في تصريحات وزيرة الخارجية الليبية، نجلاء المنقوش، التي زارت إيطاليا أمس، وطالبت بدعم المجتمع الدولي لحكومة بلادها من أجل «المُضيّ قدماً في إعادة البناء وتوفير البنية التحتية»، مؤكدة أن بلادها مصرّة على «حماية حدودها بجنودها وإخراج مرتزقة الدول كافة، بمن فيهم الذين أرسلتهم تركيا، ما يتيح توفير أجواء تسمح بإجراء الانتخابات»، المنقوش، التي ستجري جولات عدّة بمفردها في الأيام المقبلة على عواصم عربية وأوروبية، تسعى إلى حشد رأي عام دولي مؤيّد لاستمرار الدعم للحكومة الحالية، ولا سيما مع ترقّب وصول المراقبين الدوليين والطلب المحتمل بالحصول على جزء من الأموال الليبية المجمّدة في الخارج، فضلاً عن محاولات إعادة المستثمرين الأجانب للدخول في شراكة مع الحكومة الليبية خلال المدّة القصيرة المقبلة.

> أوقفت «مؤسسة النفط» التصدير جزاء خلافات بينها وبين «المصرف المركزي»

على الصعيد الاقتصادي، تبدو الخلافات الداخلية مؤثرة بشدة في عوائد الحكومة التي تعتمد على تصدير النفط كمصدر وحيد للعملة الصعبة، وخاصة مع إخفاقها في الحصول على الأموال المجمّدة بسبب شرعيتها المؤقتة التي تنتهي يوم 24 كانون الأول/ ديسمبر المقبل، موعد إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية. وقبل يومين، أوقفت مؤسسة النفط التصدير على خلفية خلافات بينها وبين مسؤولي «المصرف المركزي» حول بعض النفقات، وهي خطوة تدخّل الدبيبة لحلّها، ولا سيما أن أسبابها خلافات شخصية بين القائمين على المؤسّستَين. الشقّ الآخر في الاقتصاد الذي يجري العمل على معالجته حالياً مرتبط بالميزانية الموحّدة التي يفترض أن يقرّها البرلمان في أقلّ من أسبوعين، في أعقاب رفض إقرار ميزانية قدّمتها الحكومة نتيجة ارتفاع النفقات والمخصّصات في رأي النواب.

(الأخبار)

التحف عدد من المرتزقة الأتراك بالعقاليتين في تشاد وهو ما يضيف تحدّيا جديدا (أ ف ب)

تقرير

روسيا تعيد سائحيها إلى شواطئ «الأحمر»

القاهرة ــ الأخبار

بعد خمس سنوات على سقوط طائرة روسية في سيناء جرّاء انفجار قنبلة على متنها، أعلن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، استئناف حركة الطيران كلياً بين مصر وروسيا، وتحديداً إلى المقاصد السياحية، وذلك بعد أكثر من عامين على تنفيذ القاهرة جميع الاشتراطات التي طلبتها موسكو لتأمين رعاياها، وبينها مراجعة الإجراءات الأمنية المتّبعة مع الوفود خلال المغادرة. وخلال هذين العامين، حاولت مصر الاستجابة لجميع المطالب الروسية، بما فيها بناء سور حول مطار شرم الشيخ، والتعامل بطريقة خاصة ومختلفة مع الرحلات القادمة من روسيا، فضلاً عن زيادة إجراءات التفتيش على الحقائب وغيرها من الإجراءات الأمنية. ومع ذلك، ظلّ الروس متمسّكين بتعليق الرحلات التي تمّ استئنافها العام الماضي أولاً إلى مطار القاهرة. وجرّاء الإجراءات الأمنية المشدّدة في شرم الشيخ، تحوّل المنتجع المطلّ على البحر الأحمر إلى مجمّع مغلق على ساكنيه، مع مراقبته بالكاميرات على مدار الساعة لإحكام السيطرة. ويُتوقّع وجود

> يتوقع وجود قوات أمنية روسية مصاحبة للرحلات الأولى

قوات روسية مصاحبة للرحلات الأولى التي ستصل، لمتابعة الإجراءات في ما يتعلق بالتأمين عند الوصول أو المغادرة، وهو أمر لن تعترض عليه القاهرة بموجب الاتفاقات الثنائية التي جرى التوصّل إليها سلفاً.

ويُتوقّع أن تبدأ الرحلات الأسبوع المقبل، فيما تقدّر وزارة السياحة أعداد الروس الوافدين بنحو مليون سائح حتى نهاية العام الجاري، لأسباب بينها انخفاض قيمة التكلفة، إذ يبلغ متوسّط سعر الإقامة للفرد لأسبوع نحو 850 دولاراً فقط، فضلاً عن تقليص الرحلات بين روسيا وتركيا التي كانت مقصداً بديلاً للسياحة الروسية خلال السنوات الماضية. وعلى رغم زيادة الإصابات بفيروس كورونا في مصر، تريد الحكومة الحفاظ على شرم الشيخ تحديداً كوجهة سياحية معزولة عن الوباء، مع تجهيز أكثر من مئة فندق لاستقبال السائحين الروس خاصة والأجانب عامة، واتباع إجراءات احترازية من شأنها تقليص الإصابات في المنتجع الساحلي ومراقبة الإجراءات المتّبعة في كبرى الفنادق على مدار الساعة.

وتعدّ شرم الشيخ والغردقة المقصد الرئيس للروس على مدار العام، ويزورهما نحو مليون ونصف مليون روسي عادة، علماً بأن سنوات التوقف شهدت استمراراً لحضور آلاف الروس عبر رحلات الترانزيت. ويُتوقّع أن يشهد مطارا الغردقة وشرم الشيخ رحلات يومية مع المطارات الروسية في غضون شهرين على الأقلّ، وفق مؤشّرات أوّلية لمسؤولي القطاع السياحي الذين بدأوا العمل بالفعل مع الشركات الروسية منذ أيام، وجاءتهم تأكيدات لاستئناف الرحلات قبل الإعلان الرسمي أمس. وخلال الاتصال الهاتفي الذي أجراه بوتين مع الرئيس عبد الفتاح السيسي أمس، وأبلغه خلاله باستئناف الرحلات، نوقشت قضايا أخرى مرتبطة بمشروع «الضبعة» النووي، فضلاً عن الملفّات السياسية، وسط ترويج السلطات بكثافة خلال الساعات الماضية لكون استئناف الرحلات الروسية يعكس ثقة بالنظام والأمن المصريين.

وفيات

زوجة الفقيد: هالة اسكندر حُسن
أولاده: رنا نخلة وزوجها بيتر papa وعائلتهما
رزق الله نخلة وزوجته جينيفر فيلافاين وعائلتهما
رامي نخلة
شقيقه: زياد نخلة وزوجته برلنت الشيخ وعائلتهما
شقيقته: غادة نخلة وزوجها كميل بيروتي وعائلتهما
وعائلات نخلة، حنا، حُسن، papa، فيلافاين، بيروتي، جابر، الشيخ
وأنسباؤهم في الوطن والمهجر
وعموم عائلات الحازمية ينعون إليكم فقيدهم الغالي المأسوف عليه

فؤاد رزق الله نخلة

يحتفل بالصلاة لراحة نفسه الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم الجمعة 23 الجاري في كنيسة القيامة للروم الأرثوذكس ـ مار تقلا (الحازمية) ويوارى الثرى في مدافن العائلة في كنيسة القدّيس ديمتريوس للروم الأرثوذكس (مار متر)، الأشرفية.
إيماناً بتعاليم الكنيسة، وتماشياً مع الإجراءات المتخذة وحفاظاً على السلامة العامة، عائلة الفقيد تشكر كل من يشاركها الصلاة من منزله
للتعازي الرجاء الاتصال على الأرقام التالية أو على مواقع التواصل الاجتماعي:
هالة حُسن: 03/719959
رنا papa: +14074681863
رزق الله نخلة: +14074681998
رامي نخلة: 03/738877
زياد نخلة: 03/998986
غادة نخلة بيروتي: 03/555609
كميل بيروتي: 03/908999

رئيس لجنة ومدير عام ادارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية
المهندس ناصيف سلّلاوي
اعضاء لجنة الادارة
نقابة الموظفين والعمال
مجلس صندوق التعاضد
الجمعية الرياضية
رابطة القدامى
يتقدمون بأحر التعازي من ناظر عام الفبركة ورئيس الجمعية الرياضية في الريجي بوفاة والدته المرحومة الحاجة
فاطمة فضل شعيب
حرم المرحوم توفيق سبيتي
تغمدها الله بواسع رحمته واسكنها فسيح جناته
والهم عائلتها الصبر والسلوان

ذكرى

ذكرى مرور 16 عام
تصادف اليوم السبت الواقع فيه 2021/4/25 ذكرى مرور 16 عام على وفاة فقيدنا والأب الغالي المصرفي والإقتصادي الكبير ورجل الأعمال المرحوم
الحاج
علي عبد الله جمّال

الرجاء من محبيه الدعاء له وقراءة سورة الفاتحة عن روحه الطاهرة ولده عبد الله علي جمّال

إعلانات رسمية

إعلان تبليغ
صادر عن دائرة تنفيذ جزين برئاسة القاضي إيهاب بعاصيري تدعو هذه الدائرة أصحاب الحقوق العينية سيسيليا بطرس نجم، وشوقي وهلانة يوسف نجم وزينا ادوار رعد والمجهولي محل الإقامة للحضور شخصياً أو بواسطة وكيلهم القانوني إلى قلمها للإطلاع على دفتر شروط بيع العقارات رقم 725 و731 و365 و363 و507 و293 و496 منطقة لبعا العقارية بالمزاد العلني وذلك بمهلة عشرين يوماً من تاريخ نشر هذا الإعلان.
رئيس قلم دائرة التنفيذ
بتريسيا بو راشد

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلبت ريما عاطف سكينه لموكلها مصطفى أحمد صعب المنفذ على ورثة علي أحمد الحاج شهادة قيد بدل ضائع في العقار 1975 بلاط.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلبت كل من ايمان ورنا علي ابو عباس شهادتي قيد بدل ضائع للقسم 8 بلوك A في العقار 4387 الخيام.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب جميل أحمد اسماعيل شهادة قيد بدل ضائع للعقار 3382 ميمس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب حسن علي قاسم بصفته أحد ورثة علي يوسف قاسم شهادة قيد بدل ضائع في العقار 4012 الخيام.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

هالسنة رمضان مختلف

عبدالرحمن كان كتير محمّس ليصوم، متل السنة الماضية، بس رجعله السرطان مرة تانية. وهالسنة رح يكون معزول وحده بالمستشفى بهالشهر المبارك ليقطع فترة دقيقة عليه.

انتو ومجموعين مع العيلة عالإفطار، تذكروا عبدالرحمن وكل أصدقائه بالمركز.

رمضان كريم!

Children's Cancer Center Lebanon
A Children's Research Hospital

T 01 351515 | M 70 351515 | ccc.org.lb

إعلانات رسمية

إعلان
طلب عباس خليل سويد بوكالته عن نزاهه منير الجمل وحسانه وأحمد ووائل عزات نحلي المشترين من عزات أحمد نحلي شهادة قيد بدل ضائع للعقار 588 دبين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلبت فاطمه حسين عياش شهادة قيد بدل ضائع للعقار 2118 الخيام.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكوره
طلب المحامي شفيق نعيم خميس بالوكالة عن جورج ماما فهد سند بدل ضائع للعقار 149 كفرياشيت.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكوره
طلب روني جورج مارون مجلي بالوكالة عن انطونيوس اسحاق سند بدل ضائع للعقار 475 سرعل.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب جعفر مرعي المرعي بالوكالة عن عبد الخالق عبد القادر رضوان هو نفسه عبد الخالق سليمان عبد القادر رضوان الزعبي بموجب إفادة توحيد الاسم سند بدل ضائع للعقار 4275 - المقسم 27 زيتون طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكوره
طلب غسان خالد عبدالله بالوكالة عن فاطمه هند محي الدين الأحدب سند بدل ضائع للعقار 167 راسنحاش.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأول في الشمال
طلبت المحامية ماريات الطرازي بوكالتها عن أحد ورثة سليم مخائيل الحلو، سند بدل ضائع عن العقار رقم 1754 مقسم 10 - بساتين طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف
وسام ولي الدين

استراحة

كلمات متقاطعة 3724

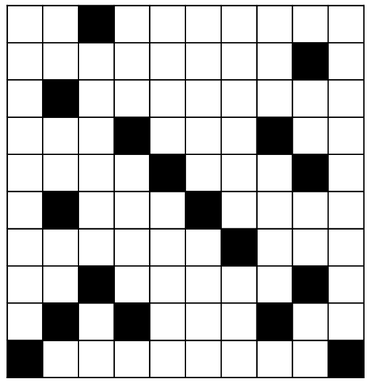

افقيا
1- عاصمة افريقية – حيوان قطبي – 2- عاصمة غوبانا – 3- نهر لبناني – 4- عمر – إشتياق – إقترب منه – 5- يحفر البئر – سوّف وأجل موعد الوفاء بالدين – 6- عاصمة إقليم النمسا العليا – رب – 7- شبه حظيرة تُحفظ فيها الأشياء والدواب – مدينة إيطالية – 8- منزلي – من الطيور – 9- حرف تحقيق – نوع من الجصّ كناية عن مادة بيضاء تطلى بها الحيطان – 10- احد روافد الأردن يجري في سهل ببسان

عمودياً
1- العلامات الضرورية الزائدة لتامين نجاح طالب في الإمتحانات الرسمية – 2- حرف نصب – أنت بالأجنبية – وعاء الخمر – 3- حياء – يقرأ الشعر رافعاً صوته – 4- وكالة أنباء عالمية – راتب – 5- مدينة سورية – رائحة الزهر – 6- موقد النار – مصرف لبناني أفلس خلال منتصف القرن الماضي في ظروف بقيت غامضة – 7- ظهر الطائرة – نظام خاضع لسلطة الملك وحُكمه – 8- إحدى الولايات الأميركية المتحدة – سهل ونهر إيطالي – 9- نوتة موسيقية – قفز – صاح التيس – 10- مفكرة وكاتبة مصرية راحلة إسمها الحقيقي عائشة عبد الرحمن

حلول الشبكة السابقة

افقيا
1- جم – البحر – 2- اسبرانس – رخ – 3- نا – نسج – مصر – 4- دكا – اودي – 5- أنوّه – ليديا – 6- رنا – كارل – 7- كبت – سج – نشر – 8- ريم – رف – فو – 9- بنغازي – 10- القراحتة

عمودياً
1- جان دارك – بي – 2- مساكن – برن – 3- اورتيغا – 4- أرنّ – هن – مال – 5- لاسا – اس – زق – 6- بنجول – جرير – 7- حس – ديك – 8- ميدان – ما – 9- رض – يرشف – 10- صخرة الروشة

sudoku 3724

	2		1					
5		7			6		8	
	6	3			7	2		5
			5			4		3
4			3		1			9
3		9			2			
6		2	4			5	1	
	5		6			7		4
					5		3	

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3723

4	8	2	5	1	7	9	3	6
1	3	5	2	6	9	4	8	7
6	7	9	3	4	8	1	2	5
2	1	4	8	3	6	5	7	9
3	5	6	7	9	1	2	4	8
7	9	8	4	2	5	3	6	1
5	2	1	6	7	3	8	9	4
8	4	7	9	5	2	6	1	3
9	6	3	1	8	4	7	5	2

مشاهير 3724

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

من اكبر الأدباء الأتراك (1851-1937). نشأ في أسرة أرستقراطية وتعلمَ في المنزل على يد أشهر المعلمين. عيّن سفيراً في بلجيكا وعضواً بمجلس الشيوخ في بلده
4+5+9+2+1+3 = خلاف الاقرب ■ 6+11+7 = نظر بعينيه ■ 8+10 = سخنَ الماء

حل الشبكة الماضية: **ساتياجيت راي**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 24 نيسان 2021 العدد 4327

صورة وخبر

في يوم الأرض الذي صادف أوّل من أمس الخميس، وضمن فعاليات Pernicem: The Endangered Species Connections الذي أنجزه بمشاركة المصوّر الفوتوغرافي دين ويست، افتتح الفنان الأميركي ناثان صوايا (1973) في «مركز كاليفورنيا للعلوم» معرضه الجديد The Art of The Brick. وفيه، يستمتع الزوّار بأكثر من مئة عمل مصنوعة ممّا يزيد على مليون قطعة «ليغو» تتناول مواضيع عديدة، ويحاكي بعضها روائع عالمية، من بينها لوحة «الموناليزا» للإيطالي ليوناردو دا فينشي. (فاليري ماكون ــ أف ب)

مصر تودّع سيناريست الروائع الأدبيّة
مصطفى محرّم، حارس العصر الذهبي

ودّعت مصر، أمس الجمعة، السيناريست الشهير مصطفى محرّم (الصورة) الذي توفي الخميس عن عمر ناهز 82 عاماً بعدما أثرى الدراما العربية بعشرات المسلسلات والأفلام التي استلهم الكثير منها من أعمال أدبية. فارق محرّم الحياة إثر تعرّضه لوعكة صحية استدعت نقله إلى العناية المركزة، وقد أقيمت صلاة الجنازة في مسجد السيدة نفيسة في القاهرة، قبل أن يشيّع جثمان الراحل إلى مثواه الأخير.

وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، نعته نقابة المهن السينمائية ووزارة الثقافة المصرية والعديد من المؤسسات الفنية والثقافية داخل مصر وخارجها. وُلد مصطفى محرّم في حزيران (يونيو) 1939 وتخرّج من كلية الآداب عام 1961، ثم نال دبلوم المعهد العالي للسيناريو عام 1964 وعمل في المركز القومي للسينما حيث كتب نصوص مجموعة من الأفلام التسجيلية.

برع في تحويل الأعمال الأدبية (منها كتب نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس) إلى أفلام، كما هي الحال مع «أهل القمة» (1981 ـ إخراج علي بدرخان)، و«الحب فوق هضبة الهرم» (1986 ـ إخراج عاطف الطيب)، و«الراقصة والطبال» (1984 ـ إخراج أشرف فهمي)، و«حتى لا يطير الدخان» (1984 ـ إخراج أحمد يحيى)، و«انتحار صاحب الشقة» (1986 ـ إخراج أحمد يحيى) و«يا عزيزي كلنا لصوص» (1989 ـ إخراج أحمد يحيى).

ومن أفلامه، نذكر أيضاً «الباطنية» (1980 ـ إخراج حسام الدين مصطفى)، «السادة المرتشون» (1983 ـ إخراج علي عبد الخالق)، و«غداً سأنتقم» (1983 ـ أحمد يحيى)، و«عندما يبكي الرجال» (1983 ـ إخراج حسام الدين مصطفى)، و«أبناء وقتلة» (1987 ـ إخراج عاطف الطيب)، و«الوحل» (1987 ـ علي عبد الخالق)، و«أيام في الحلال» (1985 ـ إخراج حسين كمال)، و«دقة زار» (1986 ـ إخراج أحمد ياسين)، و«المرأة الحديدية» (1987 ـ إخراج عبد اللطيف زكي)، و«لعدم كفاية الأدلة» (1987 ـ إخراج أشرف فهمي)، و«حارة برجوان» (1989 ـ إخراج حسين كمال)، و«الهروب» (1981 ـ إخراج عاطف الطيب) و«رحلة مشبوهة» (2002 ـ إخراج أحمد يحيى).

على الشاشة الصغيرة، ذاع صيت محرّم من خلال مسلسل «لن أعيش في جلباب أبي» (1996) للمخرج أحمد توفيق وبطولة نور الشريف وعبلة كامل، المأخوذ أيضاً عن رواية لإحسان عبد القدوس. وقّع الراحل عشرات المسلسلات، من بينها «بريق في السحاب» (1996 ـ إخراج علية يس)، و«عائلة الحاج متولي» (2001 ـ إخراج محمد النقلي)، و«العطار والسبع بنات» (2002 ـ إخراج محمد النقلي)، و«زهرة وأزواجها الخمسة» (2010 ـ إخراج محمد النقلي)، و«قاتل بلا أجر» (2009 ـ رباب حسين)، و«سمارة» (2011 ـ إخراج محمد النقلي)، و«ميراث الريح» (2013 ـ إخراج يوسف شرف الدين) و«ريّا وسكينة» (2005 ـ إخراج جمال عبد الحميد).

شغل العديد من المناصب كرئيس «مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط»، فيما شارك في عضوية مجلس إدارة نقابة المهن السينمائية لدورات عدة.

«شاي» محمد قشمر في دير قانون النهر

يوقّع الشاعر اللبناني الشاب محمد قشمر (الصورة) مجموعته الأولى «شاي رحمتكَ الأبيض»، الصادرة في نهاية عام 2020 عن منشورات «رُواة»، مساء اليوم السبت، في مكتبة Lavender في قرية دير قانون النهر (جنوب لبنان). ومن المتوقع أن يقتصر برنامج الأمسية المرتقبة التي تمتدّ على ساعتين على توقيع الكتاب، من دون أن يتخلّلها إلقاء كلمات أو قصائد، تلافياً لأي تجمّعات تخالف مبدأ التباعد الاجتماعي للوقاية من فيروس كورونا، علماً بأنّ باكورة قشمر تضم قصائد نُظِمَتْ بين عامي 2016 و2020.

توقيع مجموعة «شاي رحمتكَ الأبيض» لمحمد قشمر: اليوم السبت ـ بدءاً من الساعة التاسعة لغاية الحادية عشرة مساءً ـ مكتبة Lavender (دير قانون النهر ـ جنوب لبنان). للاستعلام: 70/780042

نادر سراج «أفندي»: لقاء مع الغلغول

تقيم «السبيل»، بعد غد الإثنين، لقاءً افتراضياً حول «أفندي الغلغول 1854 ـ 1940: شاهد على تحوّلات بيروت خلال قرن» (مرصد بيروت الحضري)، مع مؤلفه الباحث والأكاديمي اللبناني نادر سراج، على أن يتولّى الكاتب والباحث في الأنتروبولوجيا محمد تركي الربيعو مهمّة إدارته. الكتاب سيرة وجيه بيروتي تمثّل مرآة لسيرة المدينة نفسها بأنماطها وتحوّلاتها منذ المرحلة العثمانية حتى منتصف القرن العشرين في زمن الانتداب الفرنسي، علماً بأنّ «الأخبار» تعتذر عن نشرها خبراً خاطئاً عن الكتاب في عددها قبل يومين (21 نيسان/ أبريل)، إذ نشرنا خبر ندوة أقيمت عنه في 2017، على أنّها ستقام قريباً.

لقاء مع نادر سراج: الإثنين 24 نيسان (أبريل) الحالي ـ الساعة الخامسة بعد الظهر ـ منصة «زوم» وتقنية «فايسبوك لايف» على صفحة «السبيل». (رابط التسجيل متوافر على موقعنا)

المتحف الوطنيّ نجم «مهرجان بيروت للأفلام الفنية»

بالتعاون مع المعهد الثقافي الإيطالي، يقيم «مهرجان بيروت للأفلام الفنية الوثائقية» (BAFF) غداً الأحد سهرة أونلاين بعنوان «المتحف الوطني... حارس الذاكرة». البرنامج الذي ينطلق عند الثامنة مساء بتوقيت بيروت، يفتتحه شريط المخرج بهيج حجيج «المتحف الوطني... تحدّي النسيان» (Le Musée National، défi à l'oubli ـ 38 دقيقة ـ 1996 ـ ترجمة فرنسية). يستعيد الفيلم رمزية المتحف الذي استحال خطّ تماس وشاهداً صامتاً على حرب أهلية استمرت من عام 1975 حتى عام 1990، وكما تعرّض كل شيء للدمار والاستهداف والقنابل. يستذكر الشريط تلك المرحلة، ليشدّد أيضاً على إرادة اللبنانيين على الالتقاء على رمز قوي لهويتهم، وتراثهم، وآمالهم. يلي ذلك عرض فيلم آخر لحجيج هو «المتحف الوطني... إعادة إحياء» (14 دقيقة ـ 2016 ـ الساعة 20:40) الذي يلاحق عملية ترميم وإعادة تأهيل وإدارة المتحف الوطني في بيروت بعد انتهاء الحرب. ويُختتم اللقاء الافتراضي بندوة حول تيمة «المتحف الوطني حارس الذاكرة» تقام عبر «زوم» (بالفرنسية)، ويشارك فيها كل من: المديرة العامة للهيئة العامة للمتاحف آن ماري عفيش، والاختصاصية في الترميم ايزابيل ضومط سكاف، والمخرج بهيج حجيج، على أن تدير الندوة جمانة رزق.

«المتحف الوطني... حارس الذاكرة»: ابتداءً من الساعة 20:00 ليل غد الأحد 25 نيسان ـ العروض مجانية، والحجز إلزامي: https://beirutartfilmfestival.org/booking

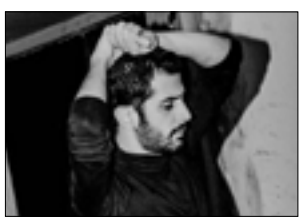

علي شحرور أجّل الموعد مع «أمّه»

كان يفترض أن يقدّم الكوريغراف والراقص اللبناني علي شحرور (الصورة) عرضه الجديد «كما روتها أمّي» في «مسرح المدينة» بين 29 نيسان (أبريل) الحالي و2 أيار (مايو) المقبل، لكن أعلن أخيراً أنه أرجئ إلى ما بين 6 و9 أيار. لا يبتعد «كما روتها أمّي» عن مشاغل شحرور في عروض سابقة، كالفقد، والخسارات والرثاء. فهو ينطلق أيضاً من قصص ومراجع حميمية لأمهات أيقونات، كما جاء في توصيف العرض الذي سيسرد قصص عائلات اندثرت. تحتلّ المرأة المساحة الكبرى في العمل، وتقود شبكة تعقيدات وأحداث عائلية. إلى جانب علي، تشارك في العرض ليلى شحرور مع ابنها عباس، والسورية حلا عمران، والموسيقيان اللبنانيان علي الحوت وعبد قبيسي.

«كما روتها أمّي»: من 6 حتى 9 أيار ـ «مسرح المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 01/753010

الأخبار
al-akhbar

السبت 24 نيسان 2021
العدد 4327 السنة الخامسة عشرة
Samedi 24 Avril 2021 nº 4327 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

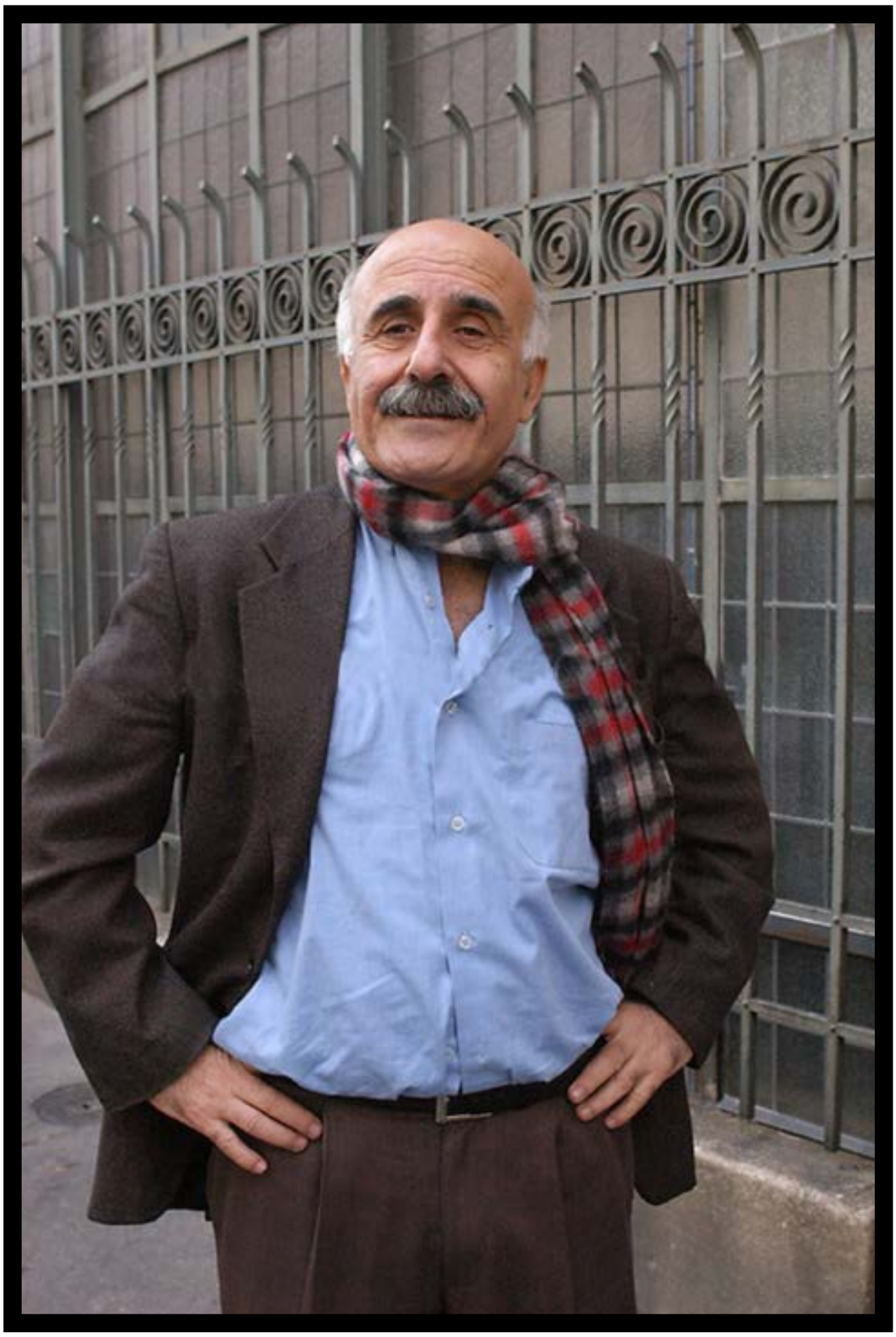

مايو بورجوا

عباس بيضون
بين وباءَيْن

«هذا الجسد وحيدٌ مع نفسه/ إذا كانت الحياة التي يجرّها حدثت فعلاً/ إنّها خارج الوقت/ ولا عدد لها أو ميعاد/ زمن حرّ يجري كالدم/ زمن لا يزال يتنفّس ويدمدم في الداخل». هذه حال الجالس وحده، ووقع خطوات الجسد في الداخل، وثرثرته المتّجهة نزولاً وفق قصيدة «الجهاز» لعباس بيضون (1945)، من مجموعته الشعرية الجديدة «الحياة تحت الصفر» التي صدرت أخيراً عن دار «نوفل/ هاشيت أنطوان». الحدث الشعري يهدينا مجدّداً قصائد بيضون الذي يُعدّ أحد أبرز وجوه الحداثة الشعرية الثانية، هو الذي لم يكن قد غاب أصلاً طوال السنة الفائتة. إذ يضمّ الكتاب الجديد قصائد الحجر التي بدأ بنشرها على صفحته على فايسبوك منذ بداية انتشار الوباء. العزلة الإجبارية، ما هي إلا فرصة أخرى للشاعر اللبناني لمراقبة حياة تمضي أو مضت، في رحلات قائمة على الشكّ بما قد حصل ويحصل حقاً. الثابت الوحيد أن ما يحدث في هذه القصائد هو الكلمات وحدها. لغته تبدو وجوداً كاملاً، أو محاولة لابتكار حياة، كما لو أن هذه الأخيرة تتحقّق باللغة فحسب، وفق ما قاله في إحدى مقابلاته السابقة «حين تقتصر لعبة المرء على الكلمات، وحين يمكنه إعادة إنتاج حياته من الكلمات نفسها، عندئذ تغدو اللغة بكل ما فيها إقامة وتاريخاً وسيرة». يقتنص بيضون قصائده من السكون، ويتّخذ من تشابه الأيام ذريعة لخوض تنقّلاته في القصيدة. في السنوات الأخيرة، أفرج عن تجارب متنوّعة في الرواية والسرد والقصيدة، آخرها روايته «علب الرغبة» (2020). غير أن الشعر ظلّ مقيماً ثابتاً، يعاوده كمرض مزمن، وفق تعبيره. بين وباءين إذاً، تقبع مجموعة «الحياة تحت الصفر» التي تأتي بعد مجموعتَيه الأخيرتين «الحداد لا يحمل تاجاً» (2019)، و«ميتافيزيقيا الثعلب» (2016).

ملف

الشاعر عيسى مخلوف معرّباً كتابه المهمّ عن فان غوغ

أنطونان أرتو... رسول الهذيان والـتجديف والمتع المحرّمة

هل يبقى أنطونان أرتو (1896–1948) «راهناً» اليوم؟ الشاعر والممثل والمسرحي ومنظّر «مسرح القسوة»، يعود عربياً إلى الواجهة من خلال كتاب «فان غوغ منتحر المجتمع» (دار الرافدين) الذي نقله الشاعر والكاتب عيسى مخلوف إلى لغة الضاد. وجد المهتمون في نصوص أرتو مثل «فان غوغ منتحر المجتمع» مادةً دسمةً تدين الطب وعلم النفس، وترى في المصحّ والمشفى الذراع المسلحة لمجتمع مستعد أن يدافع بأسنانه عن «صحّة العالم المترهّل»! مناسبة للعودة إلى أحد أبرز أسماء القرن العشرين ممن ترك تأثيراً عظيماً في تطوّر النظرية المسرحية الحديثة، إلى جانب تحوّله علامةً فارقةً في مواجهة التدجين الاجتماعي

كتبها **محمد ناصر الدين**

معه... كل الفنّ يهذي!

هل يبقى أنطونان أرتو (1896-1948) «راهناً» اليوم؟ وهل لا تزال أعماله مثل «ميزان الأعصاب»، و«شذرات من يوميات الجحيم» و«فان غوغ منتحر المجتمع» و«المسرح وقرينه» تمتلك قيمة مضافة تقولها للقارئ والمجتمع بعدما احتوت الحضارة الغربية «المنتصرة» التي تصنّف وتقولب وتنمّط وتُعلي وتحطّ من قدر كل شيء حتى الإنسان- الجنون، والعلوم والفنون والفلسفة ليصبح لكل من أنشطة العقل والروح «تاريخ» رسمي تقرره هذه الحضارة ذاتها؟ «ليس هناك من فكرة واحدة حول الأشياء ـ يقول أرتو ـ بل عشرة آلاف، وفي الحاضر أنا أتغيّر وأتقدّم». سيصطدم كل نتاج أرتو إذن بمفهوم «الراهن»، الذي يحاول عبر مفاهيم وتاريخ وتصورات ودوغمائيات راهنة، احتواء التعدد الشديد والمتناقض للقوى التي تشكل عصب كتابة خارجة على كل منظومة. في أحد أوائل كتبه «ميزان الأعصاب» Le Pèse-Nerfs المكتوب عام 1925 كتب أرتو: «هيا، سيتمّ فهمي بعد عشر سنوات، [...] سيُفهم عندها ماذا تعني الهندسة من دون مساحة، وحين تُعرف كيفية ترتيب العقل، ستفهمون كيف فَقدتُ عقلي».

كيف يمكننا فهم أرتو إذن؟ وضمن أي منطق احتوائي يمكننا أن نرتب

> **أعاد تعريف المسرح بشكل جذري استناداً إلى الرؤية الشرقية في مؤلفه العظيم «المسرح وقرينه» (1938)**

نتاج ذاك الذي رغب يوماً في «جسد لانهائي»، قريب من تلك «الهندسة بدون مساحة». هو جسدُ للكتابة، دافعٌ لكل الحدود، مقذوف في كل الاتجاهات عبر صفحة تتحول بالكتابة الى مجرّة: شعر ومسرح ورسم وموسيقى وغرفة أصداء وانفجار للرموز إلى ما لا نهاية. أخذ أرتو بفرضية «كيف فقدت عقلي» على محمل الجد... لقد كتب جنونه. ارتبط اسمه طويلاً بالعنف والقسوة والتجديف والفضيحة والمواجهات علناً وجهاراً مع «الجمهور» وحتى مع جمهرة «أهل الثقافة». إن نستذكر علاقة المد والجزر بالسورياليين وزعيمهم أندريه بروتون: «جنون» أرتو كان ليجد مكانه الطبيعي ضمن رؤيتهم وحركتهم، نظرياً على الأقل؛ لكن أي حركة لها هيكلية وبيانات وزعيم يمكنها أن تضبط ونضم وتحتوي ذاك الذي قال عنه دولوز يوماً: «مع أرتو كل الفن يهذي»؟ نستذكر هنا المشاحنات والاحتجاجات التي قابل بها الجمهور مسرح الفرد جاري لما تضمنه من تجديف ورؤية ومشاهد صادمة كان أنطونان أرتو قد ضمّنها فلسفته في «مسرح القسوة»... هو الذي أسّس هذا المسرح عام 1926 مع روجيه فيترالك وروجيه أرون. كما نستذكر حادثة كلوديل حين تمّ عرض فصل من «قسمة الظُّهر» لكلوديل عام 1928 في مسرح الفريد جاري ليتوجه أرتو في نهاية المسرحية للجمهور قائلاً: «هذا هو الفصل الثالث من مسرحية «قسمة الظُّهر» (1906) لبول كلوديل سفير فرنسا في الولايات المتحدة» ليصمت برهة ويستكمل: «الذي هو خائن خسيس!».

عام 1933 وبعد محاضرته الرهيبة «المسرح والطاعون» في السوربون، يكتب أرتو لصديقه أندريه رولان دو رينيفيل: «الناس سواء عبر رؤيتي أو عبر أفكار أثيرها، أراني أدفعهم لفقدان السيطرة على أعصابهم». في شباط (فبراير) 1948 وقبل شهر من وفاته، أوقف مسؤول الرقابة في راديو فرنسا قبل ليلة من موعده بثّ البرنامج الإذاعي «كي ننتهي من دينونة الرب». وسيتم الانتظار حتى عام 1973 ليعاد بثه على إذاعة «فرانس كولتور». في الستينيات من القرن الماضي وبعد نشر أنطولوجيا مختارة من نصوصه في سان فرانسيسكو، فرضت صورة أرتو نفسها في الولايات المتحدة كايقونة للمدمن، والمنشد لكل أنواع الهذيان والمتع المحرّمة والتحرر الاجتماعي. صار أرتو أحد «أنبياء» جيل «البيت» وظل وجهه متّقداً في ثورات الهيبيز والبوب ارت. في الوقت عينه، كان الصراع على أشده في أوروبا حول الجنون كمادة نفسية وثقافية واجتماعية بين المذهب البريطاني الانتي-علاجي (نظر له دافيد كوبر وروبرت لاينغ) وبين نظريات فوكو ودولوز: وجد المهتمون في نصوص أرتو مثل «السكيزو» و«فان غوغ منتحر المجتمع» مادةً دسمةً تدين الطب وعلم النفس، وترى في المصحّ والمشفى الذراع المسلحة لمجتمع مستعد أن يدافع بأسنانه عن «صحّة العالم المترهّل»! تحوّل أرتو بذلك إلى علامة فارقة في مواجهة التدجين الاجتماعي، ناهيك بلمعاته الأخرى في الكتابة حول السحر، والتنجيم، والمذاهب الباطنية، والثقافات الشرقية، ما أعطى لهذه الكتابات في حينها «راهنية» وثنية» خالدة.

اكتشف أنطونان أرتو مسرح بالي الأندونيسي عام 1931 أثناء فعّاليات «المعرض الاستعماري الدولي» في باريس وسط دعوات رفاقه السورياليين التي لم يعرها آذاناً صاغية لمقاطعة الفعّالية «الاستعمارية» في فينسين، واكتمل تصوره للثقافة الغربية كثقافة مثقلة بالمادية وإيديولوجيا التطور التقني. ترافق هذا التصور مع شعور عارم بالسخط وعدم الرضى: هذه الأزمة الروحية لحضارة مادية عظيمة هي بالضبط ما أطلق عليه أرتو اسم «اليأس المعاصر». في كتيب صغير نشره عام 1927 بعنوان «مانيفستو من أجل مسرح مُجهَض»، يصرّح بشكل مباشر: «نحن محبطون من النمط الآلي الذي نجده في كل مراحل تأمّلنا». وفي أحد دفاتره التي كتبها بين عامَي 1931 و1932، قال: «إن غربنا المليء بالدعوات المادية قد أشاح بوجهه عن الميتافيزيقا. إن الغوبيا من الميتافيزيقا قد تكون سمة مهيمنة على عقلنا اليوم، في المقابل، هكذا يمكننا تعريف الشرق: البقعة الوحيدة من العالم حيث يكون الغيب جزءاً من تمرين الحياة اليومية للبشر». أتاح العرض المسرحي المذهل للفرقة القادمة من أندونيسيا التي كانت وقتها ترزح تحت الاستعمار الهولندي، فرصةً ذهبيةً لأرتو لإعادة الاعتبار والتفكير في المسرح الشامل، الذي تظهر فيه «الرياضيات بلا مساحات» حيث يتسق الرقص مع حركة الأجساد مع الموسيقى والشعر: «العرض الذي كان يتضمن الرقص، والغناء والإيماء والموسيقى والقليل من المسرح النفسي كما نسميه هنا في أوروبا، قد أعاد المسرح إلى فكرته الأساسية في الخلق المستقل والصافي، تحت زاوية الهلوسة والخوف». أعاد أرتو تعريف المسرح بشكل جذري استناداً إلى هذه الرؤية الشرقية في مؤلفه العظيم «المسرح وقرينه» (1938): «المسرح قبل أي شيء هو فن طقوسي وسحري، بمعنى أنه مرتبط بقوة عليا، وبديانة، وبمعتقدات مؤثرة، وحيث الفعّالية تُترجم بحركات ترتبط بشكل مباشر بطقوس هذا المسرح التي هي التطبيق أو حتى التعبير عن حاجة روحية سحرية»... لينطلق من هذا التعريف للمسرح إلى تعريف الثقافة ككل: «إن كل ثقافة حقة تستند إلى أدوات همجية وبدائية من الطوطمية، التي أعشق وجهها المتوحّش، أي العفوي بالكامل».

إن كان أرتو لم يعد اليوم كاتباً «فضائحياً» بالمعنى الكيتشي للكلمة، فهو على الأقل يبقى كاتباً مقلقاً وخطراً: أولاً لأنه عبر الثراء المذهل لهذياناته وانهياراته، يشهد على فشل أي نموذج طبي نفساني على احتواء جنون يمسك قلماً. كتب الطبيب جان دوكوكير عام 1946 لوالدة أرتو من المصح الذي كان يقبع فيه الأخير في روديز: «الملاحظات التي أبديتها حول الحالة الذهنية لأبنك هي للأسف دقيقة. هذيانه لا يتعدّل بل على العكس لا يني يتفاقم. لكن هذا في المقابل لا يزعجه في نشاطه الأدبي. إنه يكتب أكثر في هذا الوقت». الخطورة الثانية لأرتو تأتي من زعزعته لنقاط الارتكاز الثابتة لإنساننا «الراهن» حول أشياء كثيرة، من طوبوغرافيا المكان، واللغة وهوية الجسد الجنسية والفن. إن كنا مع غير أرتو نقرأ لنربط، فإننا معه نقرأ لنفكك ونهذي. «ليست أجسادنا تشريحية (anatomiques) . يقول أرتو ـ بل ذرّية (atomiques)، الجسد تنوعٌ مضطرب»، إذ علينا أن نرى في هذا التنوع والتذرّر المعنى الأقصى: حركة الذرات في كل الاتجاهات، الحركة البراونية للجزيئات، القلق المرعب لطيرانها بسرعة مجنونة نحو النواة، أو حتى بلغة تسبق منطق فيزياء الكوانتوم في المعنى الإيطالي الذي يعطيه أرتو للاضطراب affolata، أن يصبح الجسد على حافة الانفجار البركاني. في الفن، تدفعنا قراءة أرتو إلى مساءلة جذرية لكل نظرية تدعي أيّ كمال أو تخصّص بحت في العمل الفني، أو حتى وجود فكرة مكتملة في الفن. قراءة أرتو تعني أن لا نخاف من رؤية الكلمات يصطدم بعضُها ببعض، وتتحلل وتتناقل العدوى (وهو ما يسميه بالطاعون): «هذا يعني أن الأشياء لا تستقيم من دون النزول إلى الأعماق ومن دون الاحتكاك مع الفقد وما يفعله الطاعون ليس سوى وفرة في هذا الاحتكاك المروّع». إنها عودة بالكلمة إلى السحر، الى القوة الخلّاقة التي يفهمها الأميّون كما قال هو نفسه (أنا أكتب للأميين) أو كما عقّب دولوز (أكتب بدلاً عن الأميّين). في مراسلة بعنوان «رسالة حول اللغة»، يكتب أنطونان أرتو لصديقه الناقد جان بولهان: «لكننا قلما نعود إلى المقابل الأنفسية والتشكيلية والحيّة للّغة وقلّما نربط الكلمات بالحركات الجسدية التي ولّدتها، وقلما يختفي الجانب المنطقي والخطابي للكلام تحت الجانب الجسدي والعاطفي، وهذا يعني أن الكلمات بدلاً من أن تؤخذ فقط لما تعنيه نحوياً، يجب أن يتم سماعها من زاوية صوتية، ويُنظر إليها على أنها حركات، وهكذا تُكافأ لغة الأدب، وتصبح حية».

* المراجع: مقدمة أفلين غروسمان للأعمال الكاملة لأنطونان أرتو، دار غاليمار 2004.

«فان غوغ منتحر المجتمع»: لغة هاذية جامحة ومكهرَبة

كتاب أنطونان أرتو عن فان غوغ ليس كتاباً، بل عاصفة تتحفّز في صفحات كتاب، يحرّكها الألم وما هو أبعد من الألم. الغضب هنا، كاسر الأبواب ومسعى إلى التحرر من الأغلال، لا مراجعة الذات كما مع الشاعرة اليونانية سافو التي عبّرت عن غضبها منذ أكثر من 2600 سنة وسوّغته بالقول: «لأنّ في نفسي روحيْن لا أعرف ما أفعل: روح الصياد وروح الطريدة». أو كما قال الشاعر الفرنسي شارل بودلير: «أنا الجرح والسكين». إنه في جميع الحالات، «الألم الذي يصبح تربةً تتفتح فيها الأزهار». هكذا يصدّر الشاعر والمترجم اللبناني عيسى مخلوف ترجمته الأنيقة الصادرة أخيراً عن «دار الرافدين» (بغداد/بيروت) لكتاب أنطونان أرتو «فان غوغ منتحر المجتمع» في مئة صفحة وملحق ملوّن لبعض لوحات الرسام. هي المحاولة العربية الثانية لترجمة العملاق الفرنسي بعد ترجمة أولى نافذة لـ «المسرح وقرينه» عن «دار النهضة العربية» المصرية أنجزتها سامية أسعد عام 1973. وصف مخلوف رحلة ترجمته للكتاب بما يلي: «لم يكن من السهل مقاربة لغة أنطونان أرتو الهاذية الجامحة المكهرَبة، ولم أسعَ إلى ترويضها على الإطلاق، بل ذهبت في محاذاتها، ومحاذاة إيقاعاتها، قدر المستطاع. إذا كانت الترجمة قراءة تغوص تحت جلد النص، فهي هنا قراءة لنص مشتعل يحتمل قراءات كثيرة. إنه «اللغز الخالص للزهرة المعذّبة»».

نشر أرتو كتابه «فان غوغ منتحر المجتمع» عند ناشر فرنسي صغير (KÉditeur) عام 1947، أي قبل موته بقليل، لا منتحراً كما يحلو لبعض الروايات المرتبطة بحياته الصاخبة، وإنما على كعب سريره كما كتب قبل عامين من وفاته «بطريقة بسيطة وكارثية، ستجدونني ميتاً عند الصبح الطالع». الكتاب الذي قوبل بالترحاب من الأوساط الأدبية وتلقّى «جائزة سان-بوف للنص الأدبي» عام 1948 هو عبارة عن «مانيفستو» ومرافعة إبداعية مذهلة صاغها أرتو كردّة فعل على حدث معيّن: استجابة لطلب بيار لوب وبعد قراءة مقال للدكتور بير الذي زعم أنه شخّص عند فان غوغ نوعاً من السكيزوفرينيا على درجة متطورة.

ذهب أرتو لمشاهدة معرض فان غوغ المنظّم في حينها في «متحف الأورانجوري». كتب أرتو من بعدها البذور الأولى لما سيصير بعد شهر فقط «فان غوغ منتحر المجتمع». «لا، فان غوغ لم يكن مجنوناً، لكن أعماله الفنية كانت تجسيداً لنيران يونانية، وقنابل ذرية قادرة من زاوية رؤيتها، إلى جانب جميع الأعمال الفنية الأخرى التي كانت سائدة في ذلك الوقت، أن تضايق بقوة الأعراف البورجوازية الخام للإمبراطورية الفرنسية الثانية... أعمال فان غوغ لا تهاجم الأعراف السائدة فحسب، بل المؤسسات نفسها أيضاً، وحتى الطبيعة الخارجية مع مناخاتها، ومدّها وجزرها، وعواصف اعتدال الربيع، ما عاد في إمكانها بعد مرور فان غوغ على هذه الأرض، أن تحافظ على الجاذبية نفسها». إنها لغة أنطونان أرتو في أقوى تجلياتها، الخلخلة، والتفكيك والهذيان وإشهار البطاقة الحمراء في وجه المؤسسات الحديدية من الخارج التي ينخرها سوس تدجين الإنسان من الداخل، لا سيما «الطب الذي غدا جثة قديمة غير صالحة للاستعمال، ويعلن أن فان غوغ مجنون. حيال وضوح فان غوغ الذي يعمل، لا يعود طب الأمراض النفسية سوى حجرة لغيلان هي نفسها مصابة بالهوس ومضطهدة، وليس لديها للتخفيف من حالات القلق والاختناق البشرية إلا مصطلحات مثيرة للسخرية، هي النتاج الأجدى لادمغتها المشوشة».

إنها مرافعة دفاع عن فان غوغ يقوم بها أرتو بالنيابة عن نفسه وعن كل المبدعين ضد «كل ما من شأنه أن يعرقل صعود الإنسان نحو الأعماق» كما يقول مخلوف في مقدمته، وفي وجه مجتمع يخلط بين الكتابة والرسم كرؤية ونمط حياة وما يراه «الجمهور» فقط في الطبقة الأولى من الكتاب أو اللوحة: «وهكذا تمّ كتم أنفاس بودلير، وإدغار بو، وجيرار دو نرفال ولوتريامون، حتى لا يخرج شعرهم من الكتب ويقلب الواقع»، إذ أن شعر كل «منتحري المجتمع» هؤلاء هو حقيقة، لأنهم يمارسون مهمة هي أكبر من تفريغ اللغة. مهمة شبّهها أرتو بـ «خَرم الفكر» ويخترعون كتابة التمرد من أعماق الروح. لغة افتتان الحواس تفجّر في «تنوعها المضطرب» كل نقاط ارتكازنا الثابتة التي نرتاح إليها. عن فان غوغ، يقول أرتو: «اليد المشوية ضرب من البطولة غير المشروطة، أما الأذن المصلوعة فهي منطق مباشر، وأكثر: إنّ عالماً يأكل ما لا يؤكل، ليلاً نهاراً، أكثر فأكثر، ليأخذ نيّته السيئة إلى مبتغاها، ليس له هنا بالذات إلا أن يخرس». فمن هو المجنون حقاً، «فان غوغ الذي لم يشبع طيلة حياته إلا يداً واحدة، أم عالماً يأكل يومياً فرْجاً مطبوخاً بالصلصة الخضراء»؟.

كان أرتو يحب بشكل غريب الدفاتر المدرسية من القياس الصغير، بخاصة في سنواته الأخيرة. في العديد من المراسلات مع أصدقائه، كان إطار أوراق الرسائل هو نفسه يتكرر: يكتب مباشرة على صفحة يمزقها من الدفتر الصغير، ولو كانت الصفحة كبيرة على ما يكتبه، فإنه يقسمها نصفين لتبدو كهيئة الدفتر تماماً. هذا التقليص الرهيب للكادر الذي يحشر فيه عبارته، يحيل مباشرة إلى إشكالية الضيق والاختناق اللذيْن يشعر بهما الجسد «التشريحي» في توقه إلى الجسد «الذري» الذي يريد أن يرقص ويتفجّر ويصرخ. هذه الثنائية المضطربة ذاتها هي ما وجدها أرتو وأحبّها في لوحات فان غوغ، وبخاصة تلك الصغيرة المقاس حيث ينجح الرسام في «تفجير قوة دوّارة» في مساحة لا يتخطّى حجمها الإطار الصارم والمعتمد في فنّ الرسم. رأى أرتو في لوحات فان غوغ مرادفاً لصفحة دفتره التي يحتشد فيها كل شيء. «ماذا تعني صفحة دفتر؟ مشهد مسرحية، شعر في الفضاء، مسرح للقسوة». الفن عند فان غوغ كما عند أرتو هو في آن معاً الجرح والسكين، روح الصياد وروح الطريدة.

> **مرافعة دفاع عن فان غوغ يقوم بها أرتو بالنيابة عن نفسه وعن كل المبدعين**

أقصوصات

حكايات عرفانيّة

من حديث رياض وبياض (منمنمة من مخطوط عربي في الفاتيكان، القرن الـ 13 الميلادي).

اختيار وترجمة **رشيد وحتي**

1. أبو لينغ: السّؤال مسكنا [الصين]

كان Liu Ling كثيراً ما ينّقاد للخمر. متحرّراً وطافحاً بالنّشوة، كان يتجرّد من ملابسه ويجول عارياً بالبيت. وكان يجيب مَنْ يترّددون على بيْته ويلومونه على ذلك:«اتّخذ السّماء والأرْض مسْكنا، ومسْكني سؤالا. ما الذي دهاكمْ إذنْ، سادتي، لتدْخلوا هكذا سرّوالي؟»

2. الحبْل والفخّار [الصين]

ساعتها، حكم الإمْبراطور العْنيد على الرّسّام الكبير بالمَوْت شنْقاً. والحبْل في العنق، لنْ يستقيم إلّا على إصْبعيْ قدميْه الكبيرتيْن. وإنْ تعب... اسْتند إلى إصْبع واحدة. وبالأخرى، رسم فخّاراً على الرّمْل. كانت الفخّار مزْسومة في أحْسن شكْل، بحيْث ارْتقتْ على طول جسده، وقرضت الحبْل. ويم أنّ الإمْبراطور كان قدْ قال انفاً بأنّه سيعود عنْدما تتراخى عزيمة الرّسّام الكبير، فإنّ هذا الأخير ذهب بخطى متّئدة. ورافق الفخّار. (حكاية صينيّة، نقْلاً عنْ أنْدري مالرو، الحبْل والفخّار، ص. 7، غاليمار، 1976)

3. تعفّف البسطامي [بلاد فارس]

غسل أبو يزيد البسْطاميّ يوْماً ثوْبه في الضّحْراء ومعه صاحب له، فقال له صاحبه: علّقْه على حائط الكرْم، فقال: ما آذن لي صاحبه. فقال: علّقْه على الشّجر، قال: تنْكسر أغْصانه فيفْسد. فقال: ابْسطه على الإذْخر، قال: يفْسد، لأنّ اللّه جعله علفاً للدواب. فولّى أبو يزيد ظهْره إلى الشّمْس ووجه القميص على ظهْره ورأسه، وقلّبه حتّى جفّ ثمّ لبسه.

4. الشيخ الأكبر يتّخذ بالكون [الأندلس]

رأيْت ليْلة أنّي نكحْت نجوم السّماء كلّها، فما يبْقى منْها نجْم إلّا نكحْته بلذّة عظيمة روحانيّة، ثمّ لمْ تمُتْ نكاح النّجوم أعْطيْت الحروف فنكحْتها. (ابْن عربي: الفتوحات المكّيّة).

5. رابعة العدوية: ما النار والجنة إلا مجاز [العراق]

ذات يوْم، رأى جماعة من الأصحاب رابعة وفي إحْدى يديْها نار، وفي الأخْرى ماء وهي تخْدو مسْرعة، فسألوها: أيْنها السّيّدة، إلى أيْن أنْت ذاهبة؟ وما تبْتغين؟ فقالت: أنا ذاهبة إلى السّماء كيْ ألْقي بالنّار في الجنّة وأصبّ الماء على الجحيم، فلا تبْقى هذه ولا تلك.

6. ابو الفرج بْن الجوْزي: انْتحلهُ بورخص 1 [العراق]

الحسن بْن أحْمد: ابْن الحسن بْن أحْمد بْن محمّد العطّار، أبو العلاء الهمْذاني. سافر الكثير في طلب العلْم، وقرأ القرآن واللّغة، وقدم بغداد، فأكْثر من السّماع، وحصّل الكتب الكثيرة. وعاد إلى بلده همذان، فاشتوْطنها. وكان له بها القبول والمكانة. وصنّف، وكان حافظاً متقناً، مرضيّ الطّريقة، سخيّاً. وانتهت إليه القراءات والتّحديث. وتوفّي ليلة الخميس عاشر جمادى الآخرة من هذه السّنة [سنة تسع وستّين وخمْسمائة]، وقدْ جاوز الثّمانين بأربعة أشْهر وأيّام. قال المصنّف: وبلغني أنّه رئي في المنام في مدينة جميع جدْرانها من الكتب، وحوْله كتب لا تحدّ، وهو مشْتغل بمطالعتها. فقيل له: ما هذه الكتب؟ قال: سألْت الله أنْ يشْغلني بما كنْت أشْتغل به في الدّنْيا فأعْطاني. ورأى له شخْص آخر أنّ بديْن خرجتا من محراب مسْجد، فقال: ما هذه اليدان؟ فقيل: هذه يدا آدم بسطها ليعانق أبا العلاء الحافظ. قال: وإذا بأبي العلاء قدْ أقْبل. قال: فسلّمْت عليْه فردّ عليّ السّلام، وقال: يا فلان، رأيْت ابْني أحْمد حين قام على قبْري يلقّنني، أما سمعْت صوْتي حين صحْت على المَلكيْن، فما قدرا أنْ يقولا شيْئاً عليْها، وأنا مفْتنع، إلى أنْ مضى من اللّيْل نصْفه. فلقيني الطّائف (الشرطي الذي يجول ليلاً)، فقبض عليّ، فوجدني غريباً، فأنْكر حالي، فسألني، فقلْت: رجل غريب ضعيف. فلمْ يصدّقْني، فبطحني، وضربني مقارع. فصحّت وقلْت له: أنا أصْدق. فقال: هات. فقصصْت عليْه قصّتي منْ أوّلها وحديث المْنام. فقال لي: أنْت رجل ما رأيْت أحْمق منْك، والله لقدْ رأيْت منْذ كذا وكذا سنة، في النّوْم، كأنّ قائلاً يقول لي: ببغْداد بالشّارع الفلاني، بالمحلّة الفلانية — قال — فذكر شارعي ومحلّتي، فسكتّ واضْغيْت. وانْتمّ الشّرْطيّ الحديث، فقال: دار يقال لها دار فلاّن — فذكر داري واسْمي — وفيها بستان، فيه سدْرة، تحْتها مدْفون ثلاثون ألْف دينار، فائمض فخذْها؛ فما فكّرت في هذا الحديث، ولا التفتّ إليْه، وأنْت أحْمق، فارْقْت وطني وأهْلك، وجئْت إلى مصْر بسبب منام. قال: فقوي قلْبي بذلك، وأطْلقني الطّائف، فبتّ في مسْجد، وخرجْت فقلْعت السّدْرة، وأثرت مكانها، فوجدْت فيها قمْقماً، فيه ثلاثون ألْف دينار، فاخْذتها، وديّرْت أمْري. فانا أعيش منْ تلك الدّنانير وكلّ ما ابْتغته منْها، منْ ضيْعة وعقار إلى الآن. (القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي، الفرج بعد الشدة، حكاية من الباب السادس: في منْ فارق شدّة إلى رخاء بعْد بشْرى منام ولمْ يشبْ صدْق تأويله كذب الأحْلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1994، ج. 1، ص.ص. 175—176)

8. كافكا: طقوس تجْديفيّة [تشيكيا]

هجمت الفهود على المُعْبد وأفْرغتْ ليلاً وأسال النّاس بيْن الأعْشاءيْن، فما زلْت أمْشي في الطّريق، وتأبى نفْسي المُسالمة، ويحْملني الجوع عليْها، وأنا مفْتنع، إلى أنْ مضى من اللّيْل نصْفه. فلقيني الطّائف (الشرطي الذي يجول ليلاً)، فقبض عليّ، فوجدني غريباً، فأنْكر حالي، فسألني، فقلْت: رجل غريب ضعيف. فلمْ يصدّقْني، فبطحني، وضربني مقارع. فصحّت وقلْت له: أنا أصْدق. فقال: هات. فقصصْت عليْه قصّتي منْ أوّلها وحديث المْنام. فقال لي: أنْت رجل ما رأيْت أحْمق منْك، والله لقدْ رأيْت منْذ كذا وكذا سنة، في النّوْم، كأنّ قائلاً يقول لي: ببغْداد بالشّارع الفلاني، بالمحلّة الفلانية — قال — فذكر شارعي ومحلّتي، فسكتّ واضْغيْت. وانْتمّ الشّرْطيّ الحديث، فقال: دار يقال لها دار فلاّن — فذكر داري واسْمي — وفيها بستان، فيه سدْرة، تحْتها مدْفون ثلاثون ألْف دينار، فائمض فخذْها؛ فما فكّرت في هذا الحديث، ولا التفتّ إليْه، وأنْت أحْمق، فارْقْت وطني وأهْلك، وجئْت إلى مصْر بسبب منام. قال: فقوي قلْبي بذلك، وأطْلقني الطّائف، فبتّ في مسْجد، وخرجْت فقلْعت السّدْرة، وأثرت مكانها، فوجدْت فيها قمْقماً، فيه ثلاثون ألْف دينار، فاخْذتها، وديّرْت أمْري. فانا أعيش منْ تلك الدّنانير وكلّ ما ابْتغته منْها، منْ ضيْعة وعقار إلى الآن. (القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي، الفرج بعد الشدة، حكاية من الباب السادس: في منْ فارق شدّة إلى رخاء بعْد بشْرى منام ولمْ يشبْ صدْق تأويله كذب الأحْلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1994، ج. 1، ص.ص. 175—176)

9. رايْنز هارْيا ريلْكة: كل شيْء اقْتحم عليّ نوْمي [النّمسا]

واقول بانّي لا أسْتطيع منْع نفْسي من النّوْم والنّافذة مفْتوحة. عربات الترّاموايْ تعْبر غرْفتي هائجة وهي تصفّر. السّيّارات تمرّ منْ فوْقي. باب يصْفق. في مكان مّا، زجاجيّة نافذة تتهشّم. أسْمع قهْقهة شظايا الزّجاج الكبيرة، الضّحْكة المْتهكّمة للكسرات الصّغيرة. ثمّ فجْاة، من الجهة الأخْرى، بداخل البيْت، صوْتاً خافتاً، مكْتوماً. ثمّة شخْص يصْعد أدْراج السّلّم. يصل، لا ينْتهي من الوصول. ها هو ذا، يبْقى ها هنا طويلاً، ينْصرف، والشّارع منْ جديد. فتاة تصْرخ: آهْ! الحْرس، لمْ تعْد لي رغْبة. الترّاموايْ يقْترب مخْموماً من الصّرْخة، يمرّ منْ فوْق، منْ فوْق كلّ شيْء. ثمّة شخْص ينادي. أناس يهْرعون، يتدافعون. كلْب ينْبح. يا له منْ تفْريج عن النّفْس: كلْب! زهاء الصّباح، نسْمع حتّى صياح الدّيك، ما يشكّل غبْطة لا تنْتهي. وفجْاة، أغْفو. (تدْوينات مالْتة لوريدْس بْريكه)

10. احْمدْ بوزْفوز: التّراب [المْغْرب]

التّراب يبْكي. يتكاثر في داخلي ويتراكم ويزْبو حتّى يبْلغ الحْنْجرة حيْث ينْشج ويعْول. يتوسّل إليّ: «ارْحمْني أخْرج... افْتحْ فمك ازْحوك». ولكنّي ازْفض. لوْ فتحْت فمي لغطّى التّراب العالم.

11. عبْد الوهّاب البياتي: نصوص شرْقيّة [العْراق]

سملوا عيني وسرقوا خاتمي الذي يحمل اسمك، وشفّوا صدري ليبْحثوا عنك في قلبي، ابتسمت وقلت لهم: انظروا إلى نجْمة الصبح فهي هناك.

■■■

رأيْتك وأنْت ترقصين تحت قبة الفلك قبل أن أصاب بالعمى، الآن، لا أراك إلاّ متّشحة بالسواد عرفت لماذا سرق أمير بخارى حصاني.

■■■

أمير بخارى سال جاريته ماذا يمتلك هذا العابر ليجعلك تبتسمين دائما وتتركينني وحيداً؟ قالت: لأنّه كان يمضي إلى نهر المجرة ولا يملك خنجراً أو حصاناً.

■■■

لماذا ثار الحدّاد وترك لنا الاحتفال بعيد النوروز، لماذا لا ينهض من قبره ليرى، كم هي قبور الشهداء؟

■■■

المجوس وحدهم يعرفون لماذا تتواصل النجوم في منتصف الليل وتبكي. أما أنا — ولست وحدي أعرف — لماذا تصبح السماء حمراء عندما يجوع الفقراء.

■■■

يتساقط المطر فوق الحدائق الطاغورية وأنا في سرير المطر أرضع ثدي الغزالة وأسمع نحيب امراة ياتي من بعيد.

■■■

أحببتك في دلهي. قبّلتك في المراة. أحببت نساء الهند، فدفء القبلة أسرى بي، صار حريقاً في كل بيوت الحلوات، صارت دلهي بستاناً نتبادل فيه القبلات.

■■■

خبّز جسدها ونبيذ دمها جعلاني أقاوم الموت سبعين عاماً.

فصل من رواية

موتٌ منظّم (*)

أحمد مجدي همام (**)

اليوم الثاني: 23 أبريل 2016

لا شيء يزْعج معْتادي السهر أمثالي أكثر من الاستيقاظ المبكر والاضْطرار للانْتظام في برنامج جماعي، لكن لا حيلة للفرار من ذلك، فنحن على موعد اليوم للتوجُّه إلى وزارة الداخلية لاسْتخْراج تصْريحات صحافية وبطاقات تسمح لنا بالدخول حتى الضريح الرمْزي لشهداء الإبادة.

أجلس في المقْعد المجاور للنافذة في الباص الثاني، منْشغلاً بالتقاط الصور للتلال الخْضراء الزاهية المزْدانة بندف ثلج وبَرَد ودمجها في لقْطة فنية بقطرات المطر على نوافذ الباص. أهْدر الوقت، منْتظراً أنْ نصل إلى وسط المدينة، قرب المسرح الذي نُصّب خصيصاً ضمنْ فعّاليات بلدية يريفان لإحياء الذكرى الأولى بعد المائة للإبادة.

الدكتور هوفيك والمرشد جالوس يحْصيان الأعْداد المتدفّقة منْ كل باص، هناك ثمانية غلبهم النوم ولم يأتوا معنا إلى مقر وزارة الداخلية، مكالمة سريعة من هوفيك إلى الفندق تمكّنه من معرفة أرقام غرف المتخلّفين، والذين لن يتاح لهم مصاحبتنا غداً في احتفالية اليوم الكبير.

أما أنا، فاقف مندهشاً، في ميدان صغير، لا أعرف اسمه، بيْن مبنى لوزارة الداخلية بدولة صغيرة نشأت في عام 1991 بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، ومسرح شارع يلتهم جانباً كبيراً من مساحة الميدان، نظارتي الشمسية تخفي عينيَّ المجهدتيْن المحمرتيْن بفعل السهر والسفر والنبيذ، لا أفكّر سوى في العثور على فنجان قهوة في أي مكان، عساه يعيد تشغيل مخي نصف النائم.

بعد أن نسلّم بطاقاتنا وجوازات سفرنا وأوراق الدعوة إلى ضابط عابس عاقد الحاجبيْن، أستأذنُ من الدكتور هوفيك في الغياب لمدة تتراوح من نصف ساعة إلى ساعة، بغية البحث عن أي مقهى قريب أستطيع أن أجد فيه بعض القهوة. وقبل أن يبدي الدكتور هوفيك تحفّظه بسبب احتمالية ضياعي في المدينة، أو انتهاء الإجراءات قبل عودتي؛ تتطوّع شابة ذات لكنة سكندرية بمنحه رقم هاتفها المحمول، وتطلب منه أن يتصل بنا على الأرقام التي وزّعوها علينا في حال انتهوا الإجراءات قبل عودتنا، إذْ تحتاج هي أيضاً إلى فنجان قهوة.

يبدو الدكتور هوفيك مطمئناً إلى هذه الرفقة، فينقل رقمَي هاتفيْنا، ثم يطالبنا بأن ننهي قهوتنا ونعود فوراً.

دون أن نتبادل كلمة واحدة، أنطلق مع السكندرية تاركيْن مبنى وزارة الداخلية خلفنا، باحثيْن عن أي مقهى قريب لنشرب بعض القهوة قبل انقضاء الأجل المتاح، فنعد السير، وفي طريقنا نقيم تعارفاً سريعاً، ونحن نكاد نهرول، لا يعطلنا إلا توقفها عند بعض محال الحقائب والأحذية.

اسمها ريهام، فنانة تشكيلية مصرية وطبيبة عيون، تقيم في أبو ظبي وتعمل في أحد مستشفياتها. ريهام تقول إنها قرأت مادتي الصحافية عن الإبادة الأرمينية، وإنها كانت تجلس في المقعد الذي يقع خلفي مباشرة في الطائرة، واستمتعت باستراق النظر إلى سطور الكتاب الذي حملته معي. في غمرة هذا التعارف على الماشي، نصل إلى المقهى قبل انقضاء ربع ساعة من مهلتنا الصغيرة.

تصرّ ريهام على أن تعزمني، وبدوري أقبل دعوتها، وأرافقها إلى حيث علينا أن نملي طلباتنا على النادل، تتطوّع هي بطلب فنجانيْن من القهوة التركية، إلا أن النادل يبدو ذاهلاً وهو يستمع إلى طلبنا، ثم يتفحّصنا قليلاً، قبل أن يطلب منا بهدوء وعصبية مكتومة مغادرة المكان لأنهم لا يقدمون القهوة. بعدها بدقائق يضع النادل العصبي قهوتنا على الطاولة، ويقدم لنا ابتسامات معتذرة، بل والألطف من ذلك أنه يصر على عدم تسديدنا الفاتورة، بعدما عرف أننا مصريان جئنا لتغطية وحضور إحياء ذكرى الإبادة.

يطلق الأرمن على القهوة كما يحبها المصريون: قهوة يونانية. ويرفضون تماماً تسمية قهوتهم بالتركية، هذا ما قاله الدكتور هوفيك لريهام خلال مكالمتهما السريعة. والحقيقة أن القهوة الأرمينية اليونانية طيبة وزكية، ويزيد من زكاوتها أنها أتت بعد موقف متوتر، تسببت فيه له باللغة الإنكليزية أننا نسمي هذا النوع من القهوة في بلادنا بالقهوة التركية، ولسوء الحظ، فإن النادل كاغلب أرمن الداخل لا يجيدون الإنكليزية، لأن اللغة الثانية هنا هي الروسية.

وعلى طريقة «عذر أقبح من ذنب»، بدا أن محاولتنا لتفسير طلبنا تستفزّه أكثر من الطلب نفسه. تتكهرب الأجواء، وأشعر بالحرارة قادمة من ناحية ظهري، أستدير لأعاين فاجد ثلاثة نُزُل آخرين يتحلّقون حولنا ويحملقون فيّ، ومن إحدى الطاولات القريبة المح زبوناً هائل الجثة تجتذبه الأجواء المكهربة فيقبل هو الآخر. وفي غمار هذه الفوضى لا أجد ريهام إلى جواري!

للحظة أشعر بالخيانة، فقد وزُطتني واختفت. أعاود النظر للنادل العصبي، وأفكّر في أنه يتعيّن عليّ فعل أمر من اثنيْن؛ إما مواصلة تبرير موقفي، أو الانصياع لغضبه ومغادرة المكان. أخيراً أنحاز للاختيار الثاني، وقبل أن أنصرف، أجد يداً أنثوية تضع هاتفاً محمولاً أمام النادل بينما يخرج منه صوت رجالي يتحدث بالأرمينية عبر مكبر الصوت، تبادر ريهام لمعالجة ارتباكي:

– اتصلت بالدكتور هوفيك، وهو يبشرحلهم ويبعتزرلهم.

لا أفهم شيئاً بالطبع من الحوار الدائر بالأرمينية بين النادل وصوت الدكتور هوفيك، غير أنني ألمح تجاعيد وجه النادل آخذةً في الانبساط، قبل أن تتحول إلى ابتسامة، والحظ النّدل وهم ينصرفون عنّا إلى عملهم بينما يتبادلون الضحك، ثم وأخيراً تسحبني ريهام من يدي، بعد أن تقفل الخط، وتجد لنا طاولة في زاوية قصية وهادئة. بعدها بدقائق يضع النادل العصبي قهوتنا على الطاولة، ويقدم لنا ابتسامات معتذرة، بل والألطف من ذلك أنه يصر على عدم تسديدنا الفاتورة، بعدما عرف أننا مصريان جئنا لتغطية وحضور إحياء ذكرى الإبادة.

يطلق الأرمن على القهوة كما يحبها المصريون: قهوة يونانية. ويرفضون تماماً تسمية قهوتهم بالتركية، هذا ما قاله الدكتور هوفيك لريهام خلال مكالمتهما السريعة. والحقيقة أن القهوة الأرمينية اليونانية طيبة وزكية، ويزيد من زكاوتها أنها أتت بعد موقف متوتر، تسببت فيه مرافقتي، قبل أن تتداركه بسرعة بديهة.

لم يتبقَّ سوى قرابة العشر دقائق على مهلتنا، لذلك نرتشف قهوتنا بلهوجة، لهوجة المرتبك بالنسبة إليّ، ولهوجة المنتصر بالنسبة إلى ريهام. نصف فنجان مقدار مناسب جداً من القهوة لزوم الانتعاش الصباحي، بينما تصر ريهام على تجاهل نصيحة محمود درويش: «القهوة لا تُشرب على عجل، القهوة أخت الوقت»، تعبُّ فنجانها دفعة واحدة، ومن ثم ننطلق مهرولين، لنلحق بقية الوفد عند مبنى وزارة الداخلية، قبل أن تنقضي المهلة بدقائق.

(*) فصل من رواية بالعنوان نفسه، صدرت أخيراً عن «دار نوفل»، بيروت.

(**) أحمد مجدي همّام كاتب مصري صدرت له المؤلفات التالية: «قاهري» (رواية/ 2008)، «أوجاع ابن آوى» (رواية/ 2011)، «الجنتلمان يفْضّل القضايا الخاسرة» (مجموعة قصصيّة/ 2014)، «مصنع الحكايات» (حوارات/ 2016)، «عيّاش» (رواية/ 2017)، «الوصفة رقم 7» (رواية/ 2017)، «تقارير إلى سارة» (يوميّات/ 2019).

مزار تخليد ذكرى الإبادة العثمانية للأرمن في يريفان

قصيدة

إلى ما يعود من الذكريات

هلال لمع *

إلى الليل
وهُو يمرُّ شفيفاً على جسدِ
الساهرينَ

هنا عاشقٌ
قد تعلّم كيفَ يقولُ وداعاً
فلمّا رآها
مشى كلُّ طَرْفٍ على جهةٍ
ما عدا ظلّهُ راحَ يتْبَعُها

لأنَّ الغناءَ رهيفٌ
يُسافرُ صوتُ السنونو مع الحبِّ
حتى إذا دقَّ باباً جديداً يحطُّ الرحالا

إلى الأصدقاءِ
وقد هاجروا تاركينَ التراب الذي لم
يعُدْ ملكَهم
هَل تحنّونَ؟
أعرفُ لا
سامحونا...
لأنَّ الدموعَ تسيلُ
ولا نملكُ الآنَ إلّا السؤالا

إلى الشعراء...
وقد تعبوا
تُوجِعُها

إلى من نحبُّ
إذا عبَروا البينَ
نسمعُ أصواتَهم تتلاشى فنجْمَعُها

إلى ما يعودُ منَ الذكرياتِ
هناكَ جموعُ
يريدونَ أن يقطفوا زهرةَ الحبّ من
جسدي
قلتُ: لكنّ روحَ المغنّي هنا لن تُودّعَها

وقال:
أعدّ لنا غيمةً أيُّها الحزنُ
انذرْ فيها دُموعي إليكَ
ونَبكي غداً لو أردتَ الطلولا

ونبكي... إلى أن تموتَ
ولكنّني سوف أرحلُ ما دامَ في الليلِ
متّسعٌ ما
لأرجِعُها

إلى طفلةٍ
تدخّلُ الحبُّ في ولهِهِ
ربّما تخرجُ امرأةٌ عذبةٌ تكتبُ الشعرَ
حتى تُحيلَ انكساراتِها لوحةً حينَ

إذ تقول لمي: إنّ هذي البلاد تنام
وتصحو لتفجَعها

لمي...
لا تلومي الضحيّةَ إن ما أثارت

سكوتاً
سنجلسُ نحن الثلاثة يوماً
ونسمعها

إليّ...

فحبلُ سامضي وأتركُ خلفي حسّاً
لطيفاً وهذا الخيالا
الذي ينزف الآنَ نصّ القصيدةِ جرحاً
فجرحاً ليرفعَها

* لبنان

ليلى داغر
بحبك يا بيروت (زيت على قماش، 2020).

دراسة

هاجر قطف: هكذا تتجلّى الذات الاستعماريّة في فلسطين

في كتابها «الذات الاستعمارية أو الوطن وانعدام المأوى في إسرائيل/فلسطين» (منشورات جامعة ديوك، 2020) تقول الكاتبة هاجر قطف، وهي أستاذة مشاركة في النظرية السياسية والفكر السياسي المقارن في جامعة SOAS في لندن: «غالباً ما يركّز العديد من الإسرائيليين الذين يكتبون عن الاحتلال أو الجوانب الاستعمارية الأوسع للسيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين، بمن فيهم هي نفسها، على آليات القوة والهيمنة وتقنياتها، أو على بنية القانون، أو منطق العنف والحكم، لكنهم يسعون إلى تحويل النظرة إلى المواقف الخاضعة داخل شبكات الاحتلال والاستيطان الأوسع: المستوطن أو الذات الاستعمارية. كيف يمكن إذن صياغة النقد عندما تكون ظروفه المادية موضوع النقد؟ يمكن للمرء أن ينتقد دولة المرء، بالتأكيد - عنفها وحروبها، لكن كيف يمكن للمرء أن يشكّك في شرعية وطنه؟ كيف يمكن للمرء أن يشير إلى الأخطاء المتأصلة في طبيعة وجوده السياسي؟ ماذا يعني أن لا تكتب يهودية إسرائيلية ضد «الاحتلال» فحسب، بل أن تدرك أن منزلها مرتبط تاريخياً بتدمير منازل الفلسطينيين؟ أن ارتباطها بهذا المكان يقوم على تاريخ - ليس مثل هذا التاريخ البعيد - من العنف وهو مشروط، على الأقل إلى حد ما، بإدامة هذا العنف؟ (وبما أن إسرائيل أصبحت أنموذجاً لنوع معين من النقد اليساري، فمن الاستقرار على أنقاض منازل الآخرين. وتوضح كيف أن أنماط العنف الجماهيرية والهيكلية الضرورية لتأسيس المستعمرة واستدامتها، تسكن داخل صناعة المنزل الاستيطانية الاستعمارية، ومن خلالها تشكّل الهويات الجماعية والفردية. وهكذا تُظهر كيف أن إمكانية العيش وسط والشرطة وسياسات التخطيط والتمييز القانوني. تصبح الأنا نفسها موضوع النقد وصوتها - المكان الذي تتحدث منه، ولغتها، والحوارات المتاحة لها - لم يعد بإمكاننا التظاهر باتخاذ موقف يتعارض ببساطة وبشكل واضح مع الظلم. من هذا المنظور، كان من المستحيل كتابة هذا المؤلف، وهو عمل من شأنه أن يضرب جذراً أخلاقياً وسياسياً أينما ذهبت؛ إنه مؤلف عن هذه المزقّ». بعبارة أخرى، تقول الكاتبة: «أنا لست مهتمة برثاء مأساة هذا الموقف الموضوعي، لكنني مهتمة بتقديم نقد لهذا الشكل من الذاتية. مع ذلك، لم نفهم الآليات التي بواسطتها استعمار الذات يمكن أن ينهي الاستعمار وإمكانية السكن في منطقة - منزل - بطرق غير استعمارية على الرغم من تاريخ الاستعمار. نحن في حاجة إلى فهم آلية ترسيخ الذات الاستعمارية في كل من الفضاء ومعاني العدالة. هذا هو الهدف الرئيسي للمؤلف».

إطار نظري لفهم كيف يصبح العنف الاستيطاني مرتبطاً بإحساس المرء بذاته

توضح الكاتبة أن المستعمرين يحوّلون باستمرار مساحات العنف إلى مساحات منزلية. يهود إسرائيليون يستوطنون في الضفة الغربية وفي منازل فلسطينية مهجورة في حيفا أو يافا. والمبشّرون البيض يبنون حياتهم في أفريقيا. أحفاد المستوطنين الأوروبيّين في الأميركتين وأستراليا يسكنون ويزدهرون على أراضي السكان الأصليين المصادَرة. والكاتبة تتعقّب الأجهزة الثقافية والسياسية والمكانية التي تمكّن الناس والأمم من الاستقرار على أنقاض منازل الآخرين. وتوضح كيف أن أنماط العنف الجماهيرية والهيكلية الضرورية لتأسيس المستعمرة واستدامتها، تسكن داخل صناعة المنزل الاستيطانية الاستعمارية، ومن خلالها تُشكّل الهويات الجماعية والفردية. وهكذا تُظهر كيف أن إمكانية العيش وسط الدمار الذي يولّده المرء، ليست مجرد إمكانية تحويل نظر المرء بعيداً من العنف، بل أيضاً من إمكانية تطوير الارتباط بالعنف نفسه. بالتالي يقدّم المؤلف إطاراً نظرياً لفهم كيف يصبح العنف الاستيطاني الاستعماري غير منفصل عن إحساس المرء بذاته.

يركّز مؤلفنا هذا على ثلاثة منازل رئيسة، أو، والأفضل من ذلك، ثلاث شخصيات رئيسة للمنزل، وهي نماذج أولية من الأنواع التي تمثل أنماطاً مختلفة من المناطق الجغرافية العنيفة. الأول هو منزل أحد أكثر المستوطنين عنفاً في الضفة الغربية، وهو منزل أدى إلى إخلاء قرية فلسطينية بأكملها. إنها أيضاً أكبر مزرعة عضوية في «إسرائيل». العلاقة بين أخلاقيات الزراعة العضوية وهذا الشكل من التجريد من الملكية أمر بالغ الأهمية لها، كجزء من محاولة لفهم المخططات الأخلاقية التي يتم استخدامها لدعم المنازل في ظل ظروف العنف هذه. (الجزء الثالث). المنزل الثاني هو في الواقع مجموعة من المنازل: المنازل الفلسطينية المهجورة التي يسكنها يهود إسرائيليون... هذه البيوت الفلسطينية في يافا والقدس وغيرهما. هذا الفضاء المهجور يخدم كقصة رمزية للصهيونية بشكل عام (إن لم يكن الاستيطان على هذا النحو). في محور هذه القصة الرمزية، توجد الصهيونية الليبرالية، وبهذا المعنى، هناك درس أوسع يتعلق بالمشاعر الليبرالية هنا. يتنقل الثنائي المكوّن من الجزءين الثاني والثالث بين حدود 1967 و1948 ويسعى للتفكير معاً (حتى لو كانا منفصلين) في إنشاء إسرائيل واحتلال الضفة الغربية وغزة. بطرق مختلفة تماماً، يفتح هذان الأسلوبان أسئلة تتعلق بالروايات والإيديولوجيات والأخلاق المختلفة التي تسمح للفرد بالعيش وسط الدمار الذي يتحمّل مسؤوليته. وفقاً لذلك، يسمح لنا هذا التحليل برؤية أشكال المواقف الاجتماعية والسياسية - الذات - التي تظهر من خلال الارتباط بهذه المواقع من عنف. يعتمد تحليل هذين الجزءين على التصنيف المكاني للمنازل المتنازَع عليها، والفحص الإثنوغرافي لهذه المنازل كمواقع يتم فيها التفاوض على المواطنة الرسمية والمطالبات بالمكان، والتحليل الثقافي لإنتاج الهوية عبر دراسة تمثيلات المنازل، وطنية أو خاصة. أخيراً، البيت الثالث، الذي يفتح هذا المؤلف، هو صورة الوطن كما يدور في النظرية السياسية (الجزء الأول)؛ هو المنزل الذي تسعى الكاتبة إلى وضعه كوحدة أساس للتحليل السياسي. من خلال هذه القراءة، أوضحت الكاتبة كيف يتم دمج بنية نزع الملكية في أنماط مختلفة من الذاتية، وبالتالي توفير أساس مفاهيمي للتحليل التالي وهو «المنزل والعنف، النطاق الأوسع للحجة».

* The Colonizing Self Or, Home and Homelessness in Israel/Palestine - Duke university press - 2020

تاريخ

القرضاوي وبن بيه... في خدمة قطر والإمارات

إعداد **زياد منى**

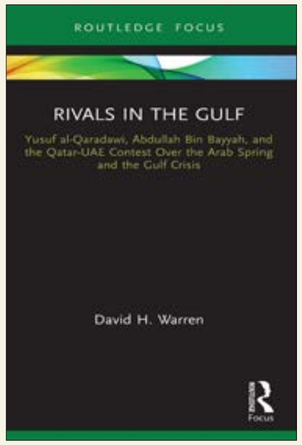

يجادل الكتاب بأنّ القرضاوي وبن بيه شكّلا الرؤى البديلة لآل ثاني وآل نهيان للمنطقة

قبل الانتقال إلى عرض محتوى «غريمان في الخليج: يوسف القرضاوي وعبدالله بن بيه والتنافس القطري الإماراتي على الربيع العربي والخليج» (روتليدج ، 2021)، أودّ تذكير القارئ ببعض المصطلحات والتعريفات ذات الصلة التي أرى أن الكاتب، وهو ديفيد هورن زميل أبحاث ما بعد الدكتوراه في قسم الدراسات اليهودية والإسلامية والشرق أوسطية في جامعة واشنطن في سانت لويس في الولايات المتحدة الأميركية، وظّفها اعتباطياً متجاهلاً توابع ذلك.

المفترض في أيّ مؤلف علمي أكاديمي الالتزام بالمقاييس العلمية حتى عند توظيف مصطلحات وتعريفات. عندما يكتب صاحب هذا المؤلف عن «الخليج»، نتوقّع من أستاذ أكاديمي إعطاءه اسمه الكامل وهو الخليج الفارسي. فعمر هذا الاسم الذي استخدمه الإغريق أكثر من ألفين وخمسمئة عام عندما كانت الإمبراطورية الفارسية هي القوة الكبرى في المنطقة. هناك من الأكاديميين الغربيين من يستخدم الاسم الخليج العربي/ الفارسي، وذلك كحل سياسي وسط لإرضاء الطرفين؛ لكنّ العلم لا يخضع للحلول السياسية. علماً بأن الإغريق أطلقوا اسم «الخليج العربي» على شمالي البحر الأحمر. ربما خشي الكاتب الأميركي استخدام اسم الخليج الصحيح خوفاً من أي عقوبات تفرضها سلطات مشيخات الخليج عليه، ما يمنعه من مواصلة أبحاثه، وهو أمر قد يتفهّمه بعض القراء، لكن ما لا يمكن تفهمه هو إشاراته إلى ما يسمى «الربيع العربي» وهو وصف أتى من واشنطن؛ كان بإمكانه توظيف مصطلح بديل حيادي إلى حد ما، هو الانتفاضات العربية، على سبيل المثال. كما نرى أن الكاتب تحدث عن «سقوط معمر القذافي» (ص 2)، كان الزعيم الليبي سقط وحده وليس نتيجة غزو حلف الناتو الذي تم بطلب من واشنطن. غزو شاركت فيه كل من مشيختي قطر والإمارات، وفرنسا الرئيس ساركوزي هي المسؤولة المباشرة عن قتله بالطريقة البشعة التي تذكرنا بالممارسات الوحشية في القرون الوسطى. لا شك في أن رفع السرية عن محفوظات الدول الغربية سيكشف حقيقة الأمور بالتفصيل. لكن ثمّة حقيقة أساس تجاهلها الكاتب وهي أنه عند الحديث عن مشيخات الخليج الفارسي، فمن غير الصحيح إيهام القراء بأن المقصود هنا كيانات سياسية بالمعنى الكامل للمفردة. فتلك المشيخات لم تتوقف عن كونها تجمعات قبلية تدار بالعقلية العشائرية إياها. إضافة إلى ذلك، نحن لا نتحدث هنا عن كيانات مستقلة، بل عن مستعمرات تابعة للإمبراطورية البريطانية الخفية (informal empire). الأخير مصطلح علمي ملزم في الأبحاث الأكاديمية (انظر عرضنا «خفايا صناعة اتحاد الإمارات أو2» بتاريخ 19 و20 آب 2020 – العددان 4127 و4128). فمشيخات الخليج ليست كيانات مستقلة وإنما مستعمرات تابعة للسيد الأنغلوأميركي، وهو أمر يديهي في الأدبيات العالمية ذات الصلة. هذه حقائق وجب ذكرها بما يوضح طبيعة المؤلف وجوهره ويفضح منحى الكاتب الفكري. الآن إلى المؤلف الذي بحث في تفاصيل العلاقات بين المصري يوسف القرضاوي مفتي الفتن والإبادات الجماعية وعشيرة آل ثاني في قطر من جهة، والموريتاني عبدالله بن بيه مفتي التطبيع مع العدو الصهيوني، عشيرة آل نهيان في أبو ظبي من جهة أخرى.

يقول الكاتب إن تلك العلاقات تمتد إلى أوائل الستينيات والسبعينيات على التوالي، وباستخدام هذا التاريخ أساساً، يبحث المؤلف في الروابط بين المشاريع المتنافسة للقرضاوي وبن بيه وتطوير «العلامات» التجارية والسياسات الخارجية المتنافسة في قطر والإمارات العربية المتصارعة. يجادل هذا المؤلف بأن القرضاوي وبن بيه شكّلا على نحو مباشر الرؤى البديلة لآل ثاني وآل نهيان للمنطقة، بدلاً من كونهما مجرد باحثين ماجورين أو «قوادين» للشرعية بأثر رجعي للسياسات القطرية والإماراتية. فمع أن القرضاوي وبن بيه صاغا أصنافاً «جديدة ومتميزة» من الفقه، وفلسفة الثورة وفقه السلام، إلا أن الكاتب يوضح في الافتراضات التأسيسية نفسها وتشترك في أنماط إنتاج متشابهة، ثم ميّزت بعضها من بعض من خلال ادعاء تسميات مختلفة مثل صوفي وسلفي...

ويقول الكاتب: «على الدول الصغيرة أيضاً أن تصنّف نفسها من أجل كسب اهتمام القوى الخارجية بضمان الأمن والاستقرار الاقتصادي فيها. وهذه الديناميكية لها سمات خاصة في منطقة الخليج». ويزعم أن القرضاوي وبن بيه أدّيا أدواراً مهمة في كيفية صياغة قطر والإمارات لعلامات تجارية بديلة للإصلاح الإسلامي، مع أن كل علامة تجارية تشترك في الهدف الرئيس المتمثل في تنمية الاستثمار المستمر وإثبات أنه كان ضرورياً للجميع ليس فقط في الشرق الأدنى والشرق الأوسط، لكن أيضاً في أوروبا وأنحاء العالم جميعاً. لكن الكاتب لا يوضح إن كان ذلك التعاون مثمراً، مثل حالة ليبيا حيث سمحت موسكو لحلف الناتو بالتدخل عسكرياً للإطاحة بالمغدور معمر القذافي وتحول البلاد إلى ساحة حرب أهلية مدمرة لا نهاية لها بين طرفين رئيسين موالِيين لواشنطن. والكاتب لا يناقش مدى نجاح تلك السياسة في سوريا أم أنها أفسحت في المجال لاحتلال القوات الأميركية والتركية، ومعهما بعض دول حلف الناتو لشمالي سوريا وشمال غربيها.

ملاحظة ثالثة هي عدم استعراض الكاتب أحاديث قيادات ومواقع روسية عن أنّ موسكو تمكّنت من الإفادة من تواجد قواتها في سوريا، لتجربة مختلف أسلحتها الحديثة وتأثير ذلك اللغو في الشارع السوري! كما يتجاهل الكاتب الأزعاجات الرسمية الجدية التي سبّبها قيام القوات الروسية في سوريا بنقل رفات جندي إسرائيلي من سوريا إلى كيان العدو من دون معرفة الحكومة السورية، واستجابة الرئيس بوتين شخصياً لطلب نتنياهو بتسليمه دبابة إسرائيلية دفعت القوات السورية والفلسطينية لتقديم شهداء للاستيلاء عليها استجابةً لطلب القادة العسكريين السوفيات، وقدّمها الرئيس بشار الأسد هدية عربوناً للصداقة بين الدولتين والشعبين للرئيس الروسي الذي قام بتسليمها لنتنياهو غير عابئ بأثر ذلك في سوريا. وعلى الأرجح أن الكاتب لا يتجرّأ على نقد سياسات الرئيس بوتين. علماً بأن الكاتب أو ناشر النسخة الروسية شارك في تحمّل كلفة ترجمة المؤلف إلى الإنكليزية كما يوضح بند الحقوق في ص 2 من المؤلف.

كما من الواضح أن الكاتب تجاهل حقيقة أن الغرب الاستعماري لم يتغير، وجوهره العدواني المعادي للشعوب باقٍ، وأن التغير حدث في موسكو.

على أي حال، هذا مؤلف مهم للدبلوماسيين وللمحللين السياسيين، إذ إنه يشرح سياسات روسيا في المنطقة بكلمات واضحة تماماً وتنصح كل مراقب سياسي بقراءته بتمعّن.

* Russia›s Middle East Policy: From Lenin To Putin. Routledge 2018

سياسة

ألكسي فاسيليف: سياسات روسيا في الشرق الأوسط

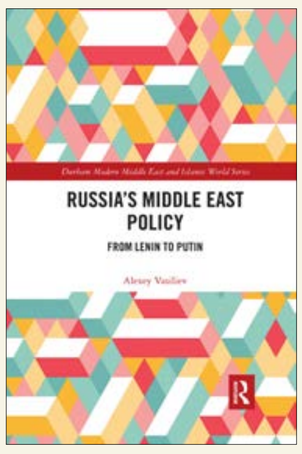

يعرض الكاتب أهداف التدخّل الروسي في سوريا

يلاحظ المرء المتابع بأن هزيمة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي رافقها انحدار في منظومة القيم لدى كثير من الكوادر الحزبيين الشيوعيين، بمن فيهم قادة كانوا أعضاء مكاتب سياسية. مؤلّف كتاب «سياسة روسيا الشرق أوسطية: من لينين إلى بوتين» (روتليدج، 2018)، المستعرب الروسي الكسي فاسيليف الذي تقلّد مواقع مهمة في الاتحاد السوفياتي وكان من المنخرطين في رسم سياسات موسكو في المنطقة وتنفيذها، يشغل حالياً موقع الرئيس الفخري لمعهد الدراسات الأفريقية منذ عام 2015. هذا الموقع منح الكاتب فرصة الوصول إلى ملاحظات الدبلوماسيين الشخصية ذات الصلة، وهو ما يلفت في هذا العمل الموسوعي.

لكن حتى نفهم محتوى المؤلف واتجاهاته وتحليلاته، فلنلقِ نظرة أولاً على قول الكاتب عن نفسه «لم أعد، كما كنت في فترة شبابي، عضو كومسومول ذا العقلية الرومانسية على استعداد لخدمة قضية «انتصار الشيوعية القادم» في أنحاء العالم جميعاً. تتبادر إلى ذهني أسئلة أكثر حدة ومرارة منها: لماذا تضرب الأفكار الشيوعية جذورها في أكثر المناطق تخلّفاً على كوكبنا؟ ولماذا تفرضها الدبابات في الدول المتقدمة مثل المجر وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية؟ ما الذي نحتاج إليه هنا وفي الشرق الأدنى والأوسط بشكل عام؟ هل هو النفط؟ لكن في هذا الوقت يبدو أن لدينا منه ما يكفي لنغرق فيه. أم أنه وضعنا الاقتصادي؟ لكن ليس لدينا ما نتاجر به. هل علينا طرد الشيوخ والملوك المحليين (في اليمن – ز م)؟ لكن هل يزعجوننا على الإطلاق؟ هل نستفيد أم نخسر من انتشار الشيوعية؟ لكن من «نحن»؟ الاتحاد السوفياتي؟ روسيا؟ قادة الحزب الكبار؟ المثقفون الروس؟ عامل منجم سيبيري أم فلاح عادي؟».

يقدم الكاتب تاريخاً مكثفاً لصنع السياسة الروسية في الشرق الأوسط، مع التركيز على الدول التي احتلت الأرض الجيوسياسية الرئيسة لكل من الاتحاد السوفياتي والاتحاد الروسي. يقدّمان خلاصة تاريخية تتخللها مقابلات شخصية، ما يجعل المؤلف موسوعة مفيدة، لكنها تفتقد إلى مخططات زمنية أو خرائط. وبالنظر إلى أنّ كثيراً من مواد المصدر مكتوبة باللغة الروسية، فكان على الكاتب وضعها بالأبجدية الكيرلية أو السيرلية، في الملاحظات جنباً إلى جنب مع الحروف الرومانية.

سأركز هنا على عرض الكاتب لأهداف التدخل الروسي في سوريا. أولاً، كان هناك هدف ذو شقين: إضعاف التنظيمات الإرهابية المتطرفة داعش والنصرة وحلفائهما من التنظيمات الإرهابية، وتقوية الحكومة السورية الشرعية، أو لإنقاذها، بحسب كلمات الكاتب. في الوقت نفسه، كان الهدف اختبار القوة العسكرية المتجددة للبلاد وإثباتها. أما الهدف الثالث غير المعلن عنه، فيتعلّق ضمناً بـ «إجبار» الولايات المتحدة وحلفائها على التعاون مع روسيا في ظل ظروف سورية محددة، أولاً في المجال العسكري التكتيكي. أخيراً، الهدف الآخر غير المعلن عنه إيجاد نقاط لتعاون أوسع مع الغرب في متناول اليد تظهر الدور المركزي الذي أداه التمرد المسلح في الحصول على الحقوق، ويقترح أن توسان كان مؤيداً قوياً لقضية الإلغاء منذ البداية، في حين اعتبره بعض المؤرخين متردداً بسبب وضعه «المتميز» في مزرعة برّدا. تفكيره كان متقدماً على تفكير حاشيته ومعاصريه، ومفهومه للأخوّة أكثر راديكالية بكثير من مفهوم الثورة الفرنسية لأنه تضمن المساواة العرقية مساواة كاملة، ولن تدرك فرنسا رؤيته للحكم الاستعماري حتى منتصف القرن العشرين».

أدّى الشعور بالقدرة المطلقة إلى أن ينجرف توسان إلى السلطوية في نهاية حياته حيث حظر عبادة الفودو، وذهب إلى حد حظر الطلاق ومطالبة العسكريين بطلب الإذن منه قبل الزواج. قال أحد النقاد: «نعم، لقد تم نصب تماثيل توسان في فرنسا وتم دفنه في البانتيون في عام 1998. هذه السيرة الذاتية الملوّنة تشيد بالجمهوري الذي مات من أجل مثله العليا وكشف مبادئ التنوير في الحرية والمساواة والأخوّة إلى الأم التي لم تكن ممتنّة للغاية لذلك».

يكتب الكاتب البريطاني الموريشي سودهير هازاريسينغ سيرة رائعة من غابة الوثائق الأرشيفية، خاصة رسائل توسان الخاصة ويثبت أن حياته وإنجازاته لم تكن ثورية فحسب، بل كانت أيضاً رحيمة وإنسانية وأخوية ومحترمة من قبل جميع مجتمعات محبوبته سان دومينغو.

يخلص الكاتب إلى أنّ «سبارتاكوس شكّل مصدر إلهام لعصرنا»، واستعرض نقدياً الكيفيّة التي تناولت شخصيته في مختلف الأعمال الأدبية.

* Black Spartacus. The Epic Life of Toussaint Louverture - Penguin 2021

سيرة

توسان لوفرتور... أو سبارتاكوس الأسود محرّر هايتي

لا شك في أنّ كثيراً من القراء سمعوا باسم سبارتاكوس الذي قاد ثورة «العبيد» في الإمبراطورية الرومانية. انتفاضة انتهت بهزيمتهم وقتل قادتهم. وفي ظني أن بعض القراء سمعوا عن ثورة الزنج في جنوبي العراق، وثورة الرقيق في مكة، لكن في ظني أنّ قلة سمعوا عن «بطل» هذا المؤلف الموسوعي واسمه توسان لوفرتور الملقب بسبارتاكوس الأسود، الذي قاد ثورة على نظام العبودية في هايتي وقادها نحو الاستقلال عن فرنسا. ويُروى عن الإمبراطور نابليون قوله إبان نفيه في جزيرة سانت هيلينا: «جوزفين هي التي جعلتني أفعل ذلك. هذا أكبر خطأ ارتكبته عندما كنتُ حاكماً. كان يجب أن أبرم صفقة معه وأن أسميه نائباً لملك سان دومينغو (سُميت هايتي لاحقاً – ز م)». بالمناسبة، اسمه الأصلي هو توسان بريدا نسبة إلى إقطاعية السُّكّر التي وُلد فيها.

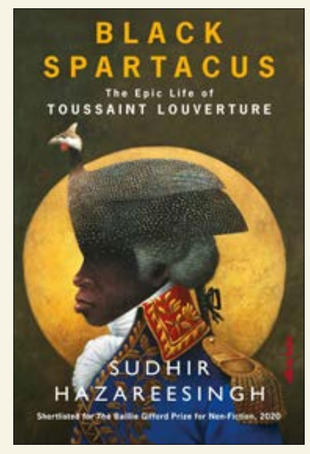

أثّر في قادة العالم الثوريين وفي مقدمتهم فيدل كاسترو

سبارتاكوس الأسود أو الملوّن هذا، أثّر في مجموعة من قادة العالم الثوريين وفي مقدمتهم الرئيس الكوبي الأسطوري الراحل فيدل كاسترو، إضافة إلى حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة ومجموعة من الحركات الثورية ضد الاستعمار. كما أثّر كثيراً في كاتب «سبارتاكوس الأسود: حياة توسان لوفرتور الملحمية» (بنغوين ، 2021) سودهير هازاريسينغ المؤرخ البريطاني وبروفسور تاريخ محاضر في «جامعة أوكسفورد»، وهو من أصول المارتنيك، ووُلد في المستعمرة الفرنسية السابقة موريشيوس. إذ قال المؤلف إن عقبات عديدة واجهته عندما بدأ بكتابة هذه السيرة، خصوصاً في ظل عدم توافر أي وثائق موثوقة تربطه بأي أحداث أو مجموعة أو مشاعر معيّنة قبل عام 1791، وكثير مما أعلنه هو عن نفسه لاحقاً كان من الواضح أنه كان متسقاً مع وضعه كقائد ثوري فرنسي بارز.

كانت تسكنه رؤية سياسية - رؤية جمهورية متحمّسة - وكان ملتزماً تماماً بمثل الأخوّة قبل أن يتمكن من تحويل رؤيته إلى حقيقة. كان عليه أن يقاتل من أجل إسبانيا، التي أعلنت الحرب على فرنسا بعد إعدام لويس السادس عشر عام 1793. وصرّح ذات مرة: «أنا توسان لوفرتور، ربما سمعتم باسمي. أنتم تعلمون، أيها الإخوة، أنني قمت بالانتقام، وأنني أريد الحرية والمساواة أن تسودا في سان دومينغو». يقول الكاتب: «لقد استفدت بالكامل من أرشيف توسان، بما في ذلك رسائله وتقاريره وخطبه. تتمثل أكبر مساهمة لمؤلفي في أنه يعطيه صوتاً مرة أخرى من خلال تحليل طريقة تفكيره، وتسجيل تعابيره المفضّلة وحسّ الدعابة والقوة لديه. كما تكشف الوثائق الأرشيفية أشياء جديدة ومهمة عن أفعاله وأفكاره، ولا سيما استراتيجيته العسكرية، ونظام الحكم المحلي الذي صاغه، وعلاقاته مع المبعوثين الفرنسيين، وسياسته الخارجية، وفكره الدستوري. كما أني القيت الضوء على دوره في ثورة 1791، وهو الموضوع الذي قسم المؤرخين حتى الآن». كما تحدّى الكاتب «الروايات الفرنسية القياسية للثورة الهايتية [و] إلغاء الرق، التي عادة ما صورت تلك الأحداث على أنها نتاج «الرياح المحفّزة» للثورة الفرنسية». الأدلة التي

أوراق

بلاطة بلعمة

زكريا محمد *

عُثر على هذه البلاطة الصغيرة في نفق بلعمة، في خربة بلعمه، على أبواب مدينة جنين في فلسطين، عام 1996، ضمن موادّ تعود إلى الألف الأولى قبل الميلاد. ونفق بلعمة يعود إلى العصر الحديدي. وقد حُفر في الصخر ليربط بين عين الماء أسفل التل في مدينة بلعمة القديمة في أوقات الحصار. ويبلغ طول النفق حوالى 400 م تقريباً. ونقول تقريباً لأنّ جزءاً من النفق لم يُستكشف بعد.

البلاطة شديدة الأهمية. إذ يمكن القول بأن الحفر عليها يصوغ في الواقع أسطورة المنطقة وأديانها ببساطة واختصار ووضوح لا مثيل لها. بناءً عليه، يمكن بالتالي استخدامها كمفتاح لحل ألغاز أساطير المنطقة.

في مركز الحفر، لدينا رجل يمسك في ما يبدو برمح طويل، وتتدلّى من يده ثلاثة أشياء. ويبدو أن الرجل يمثل «الجبار»، أي برج الجوزاء، الذي يسمى «أوريون» في التقليد اليوناني- الروماني. إذا صحّ هذا الاستخلاص، فيبدو أن الأشياء الثلاثة التي تتدلى من يده اليمنى تمثل نجوم «حزام الجوزاء» الثلاث التي تقع في مركز برج الجوزاء- الجبار. أو قل بأن هذا الأشياء رموز لفعّاليات هذه النجوم الثلاث: النطاق، النيلام والمنطقة. والأشياء الثلاثة في يده هي: عنقود عنب، دائرة وسنبلة قمح. بالتالي، فعنقود العنب يرمز إلى نجمة النطاق، التي تمثل الصيف الفيضي الخمري الدفاق. أما سنبلة القمح، فتمثل نجمة المنطقة، أي الشتاء البارد الجافّ كحبة القمح، في حين أن الدائرة تمثل نقطة الاعتدال بين الطرفين. إنها الدائرة التي يلتقيان فيها. وهي بذلك تمثل الاعتدالين الربيعي والخريفي. الحدان الطرفيان في هذا الثالوث هما وجها الإله الذكر. أما الحد الأوسط، فيمثل الإلهة الأنثى. أي أن هذا الثالوث يعادل الثالوث المكي: اللات، العزى ومناة. حيث اللات ومناة ذكران، والعزى هي الأنثى.

وقد نُظر إلى حزام الجوزاء في الديانات القديمة على أنه ميزان كوني. ويؤيد هذا حقيقة أن الناس في فلسطين لا يزالون يسمون هذه النجوم باسم «الميزان» حتى الآن.

إلى يميننا في الحفر، هناك نجمتان. وأنا أفترض أنه كانت هناك في الأصل نجمة ثالثة، لكنها ضاعت مع الكسر الواضح أسفلهما. النجوم الثلاث تصوير مباشر وليس رمزياً لنجوم حزام الجوزاء (الجبار): النطاق، النيلام والمنطقة. وفي أسفل النجمتين، رأس طائر. وإلى اليسار حمار بكامله. وهما يصوّران وجهَي الإله الذكر الذي تحدثنا عنه. الطائر يمثل الصيف الخمري الفياض العالي النغمة. وشبيهه في الجزيرة العربية هو طائر المُكّاء الخمري. أو الطائر السكران كما يدعى في بعض أنحاء سواحل بلاد الشام. أما الحمار، فيمثل النغمة المعاكسة، أي النغمة الشتوية الباردة الجافة. وهذا الحمار هو حمار العزير، وحمار بلعام، وحمار أوزيريس غير الفيضي. بالتالي، فالطائر والحمار يمثلان الكون- الإله في صيفه وشتائه. ويتمثل لنا الصراع بين الطائر والحمار أفضل تمثيل في رواية «الحمار الذهبي» للوكيوس أبوليوس. فبطل الرواية أراد أن يتحول إلى طائر، لكن فوتيس حوّلته إلى حمار بدل ذلك: «كنت غاضباً جداً على فوتيس التي أرادت أن تجعلني طائراً، فحوّلتني إلى حمار». والرواية تعرض ديانة إيزيس وأوزيريس على أكمل وجه. وقد تبين أنّ الحمار في الرواية هو ممثل أوزيريس. أوزيريس القار الشتوي.

وفي ميثولوجيا المنطقة، تحل الحية أحياناً محلّ الحمار، فيصير الصراع بين الطائر والحية، كما في أسطورة إنانا وشجرة الصفصاف. فهذه الشجرة التي زرعتها إنانا في حديقتها سكنت فيها ثلاثة كائنات: الطائر في أعلاها، وليليث في تويجها، والحية في أسفلها. ليليث هي نجمة النطاق، وهي العزى. أما الطائر والحية فهما اللات ومناة، أي النطاق والمنطقة. ولدينا حفر على حجر صغير من الألف السابع قبل الميلاد من غوبكلي تبي في الأناضول يصوّر لنا شجرة مثلثة حيث يقف طائر تحت فرعها الأيمن وحية تحت فرعها الأيسر، كما نرى في الصورة أدناه.

شجرة غوبكلي تبي من الالف السابع قبل الميلاد

الشجرة المثلثة عديل شجرة إنانا البابلية. لذا فالفرع الأوسط منها يمثل ليليث، أي يمثل الإلهة الأنثى.

على أي حال، فلدينا في أعلى بلاطة بلعمة ثلاثة أشكال هندسية تشير إلى ثالوث شبيه بالثالوث الذي تحدثنا عنه. أي أنه يشير إلى نجوم ثلاث أيضاً. لكن تموضع هذه النجوم مختلف. فالعنصر الأصغر منها يقع في الوسط وليس في الطرف. بالتالي، فمن المحتمل أن يشير إلى ثلاث نجوم مختلفة لها علاقة بالتوقيت. بناءً عليه، فلدينا ثلاثة ثواليث في النقش: ثالوث العنب والدائرة والقمح في يد الرجل، وثالوث النجوم الثلاث، وثالوث الأشكال الهندسية.

وفي أي حال، فقد كان روبرت بوفال قد اقترح منذ التسعينيات أن أهرام الجيزة الثلاثة تمثل نجوم حزام الجوزاء الثلاث، وأن هذه الأهرام تمثل ميزاناً ما للكون. بالتالي، فالهرم الأكبر هو نجمة النطاق. أما الهرم الأوسط فهو نجمة النيلام التي تمثل الإلهة الأنثى، في حين أن الهرم الأصغر، أو الهرم المؤزر حسب المصادر العربية، هو نجمة المنطقة.

أما جبلا الصفا والمروة في مكة، فهما عديل للهرمين الأصغر والأكبر اللذين يمثلان الصيف والشتاء. بالتالي، فجبل الصفا هو جبل الصيف، وجبل المروة هو جبل الشتاء. والسعي بين هذين الجبلين هو السعي بين فصلَي الكون المركزيين: الصيف والشتاء. أي أن الرحلة بينهما هي رحلة الشتاء والصيف. بالتالي، فرحلة الشتاء والصيف في القرآن رحلة دينية رمزية وليست رحلة تجارية.

هذه الرحلة مشار إليها بشكل ما في الآية 35 من سورة الأنفال التي تصف صلاة الجاهلية في مكة:

«وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاء وتصدية» (الأنفال 35).

أما «المُكَاء»، فهو صوت طائر المُكّاء الشهير كما تخبرنا المصادر العربية القديمة. وأما «التصدية» فهي صوت الحية، أي فحيحها، كما اقترحت أنا، لأن الحية هي الصدى في العربية، ولأن الحيات تُسمى المتصديات. بالتالي، فصوت طائر المكاء هو الصوت الأصلي، وصوت الحية هو الصدى. وكلاهما يمثلان الصيف والشتاء. النغمة الصيفية هي الصوت، والنغمة الشتوية هي الصدى.

* شاعر فلسطيني